الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة د. مولاي الطاهر– سعيدة –

كلية اللغات والآداب والفنون
قسم اللغة العربية وآدابها
تخصص : لسانيات عامة

الخلاف النحوي
بين البصريين والكوفيين

مذكرة تخرج لنيل شهادة الليسانس L.M.D

إعداد الطالبتين :
– بن خيرة عبلة
– *عبدلي حفيظة*

إشراف أ.الدكتور :
– رويسات محمد

السنة الجامعية: 1439هـ–1440هـ/ 2018–2019 م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

إن الحمد والشكر لله على نعمه، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين

أما بعد

نصدر الشكر بقول النبي" صلى الله عليه وسلم":"من لا يشكر الناس لا يشكر الله، وخوفا من النسيان وعدم الاعتراف بالفضل والعرفان نشكر كل من ساعدنا في إنجاز هذا البحث، سواء بالتوجيه، أو بالتزويد ببعض المصادر، حتى ظهر إلى النور، ونخص بالذكر بوافر الشكر والتقدير للأستاذ المشرف" رويسات" على ما قدمه لنا من توجيهات ونصائح طيلة فترة البحث، كان لها الأثر البالغ في إنجازه كما بين أيديكم، نسأل الله أن يجعل ذلك في ميزان حسناته.

ولا يفوتنا أن نتقدم بالشكر لأساتذتنا الكرام في قسم اللغة العربية.

أما من لم يتسع السياق لذكره، فله منا كل الشكر والتقدير والاحترام، فجزاكم الله عنا خير الجزاء.

إهداء

إلى المربي والمعلم وبه أزداد افتخارا، إلى من أجل اسمه بكل فخر، إلى من دفعني إلى العلم، من قال لي استمري فإن الحلم يستحق "أبي" رحمة الله عليه ورضوانه.

إلى الأغلى من الروح بسمة الحياة وسر الوجود، إلى من كان دعاؤها سر نجاحي وحنانها بلسم جراحي، إلى أغلى الحبايب "*أمي*" أطال الله في عمرها.

إلى إخوتي الأعزاء وكل أفراد العائلة صغيرهم وكبيرهم.

إلى صديقاتي أعز وأقرب الناس (سارة، حفيظة، لبنى، رشيدة).

إلى الذين مهدوا لنا طريق العلم والمعرفة أساتذتي الأفاضل.

وأسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل ثمرة طيبة يستفيد منها كل طالب.

والله ولي التوفيق.

عبلـــــــة

إهداء

إلى أغلى ما أملك والديَ الفاضلين الذين رعياني بحنانهما صغيرة

واستضأت بنورهما كبيرة "أطال الله في عمرهما".

إلى إخواني وأخواتي المحبوبين عسى الله أن يجزيهم ويصلح

أعمالهم.

إلى كل الأساتذة الذين أشرفوا عليَّ خلال مشواري الدراسي الذين

أكن لهم كل المودة والاحترام.

إلى زملائي في الله، وإلى من أحبني وأحسن إلى نفسي.

حفيظة

مـقدمة

الحمد لله رب العالمين حمدا يليق بجلاله وكماله في ذات والصفات وصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

لقد كان لظهور العلوم الشرعية والأصول الفقهية في أوائل القرن الأول الهجري أثر في ظهور بعض الخلافات في التفسير، مما جعل علماء هذا العصر يقولون بضرورة حفظ القرآن الكريم حفاظا عليه من اللحن والخطأ، فهذان السببان الرئيسان اللذان دفعا لوضع أسس تقوم على قراءة القرآن قراءة صحيحة لكتابه عزوجل. ودراسات أبي الأسود الدؤلي هو السباق في هذا، وذلك بأن وضع قواعد النحو، وكان هذا بأمر من الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فتعلم منه طائفة من العلماء وأخذوا عنه العربية والنحو منهم: يحي بن يعمر، وميمون الأقرن وغيرهم من البصريين كثير، ثم أخذوا عنهم جماعة من الكوفيين، ومن هنا نشأ اختلاف بين البلدين البصرة والكوفة، لاختلاف وجهات النظر بين البلدين فكل فريق يرى صحة مذهبه ورجاحته على المذهب الآخر فيرد على صاحبه ويأتي بالدليل الذي يناهض دليله.

ومع تطور النحو العربي في أواخر القرن الثاني الهجري برزت مظاهر الخلاف بين المدرستين النحويين البصرة والكوفة.

وبحثنا هذا المعنون بـ (من مظاهر الخلاف النحوي بين البصريين والكوفيين) كان إجابة للإشكال المطروح المتضمن عدة تساؤلات حول المدرستين وما منهجهما؟، ومن أهم علماء كل منهما؟ وما هي أهم المسائل التي اختلفا فيها؟.

والموضوع له أهمية بالغة وهي المعرفة والإطلاع على تاريخ النحو، ومعرفة بعض المسائل التي كنا نجهلها والتي كان لاختلافها أثر في إثراء اللغة العربية، وإثراء تراكيبها، وأن لغتنا لغة تتسع لكثير من الآراء وتحتمل الرأي والرأي الآخر .

❖ ***أما عن السبب الذي أدى بنا إلى اختيار هذا الموضوع:***

هو الميل لمعرفة الجديد والتطلع لما يفيدنا في دراستنا وتنمية أفكارنا، وأيضا اقتراح أستاذنا الفاضل لهذا الموضوع، وذلك لما فيه من مادة معرفية غزيرة وكذا لأهميته في اللغة العربية.

❖ ***وعنوان بحثنا يترجم ويوضح إشكالية وصول عن تساؤلات منها :***

- ما هي خصائص منهج كل من المدرستين الكوفة والبصرة؟.
- ومن هم أهم الأعلام في كلتا المدرستين؟.
- ما هي مظاهر الخلاف النحوي بين مدرستي البصرة والكوفة؟.

❖ ***وقد هدف موضوعنا إلى:***

- معرفة أصل النحو وواضعه: التعرف على المدرستين، وعلى أهم روادها ومنهج كل منهما.
- الإطلاع على مسائل اختلف فيهما المدرستان مع إمكانية الترجيح والتفاضل بينهما.

❖ **ولعل من أهم الصعوبات التي واجهتنا:**

- عدم داريتنا بالمنهجية المراد إتباعها لكتابة موضوع مذكرة، وبفضل توجيهات الأستاذ المشرف تم التحكم في ذلك؛ وتوفر الكتب التي كتبت حول موضوعنا ساعدنا في تجاوز الصعوبات، من أهمها:
- الانصاف لـ " الأنباري" وشرح المفصل لـ "لابن يعيشي".

❖ ***كما اعتمدنا على المنهج الوصفي، متبعين خطة بحث تكونت من:***

- مدخل، مقدمة، ثلاثة فصول، خاتمة، وأهم المصادر المعتمدة.
- أما المقدمة فاشتملت على موضوع البحث وأهميته، وسبب اختيار الموضوع، ومشكلته، وأهدافه، والصعوبات التي واجهتنا في إعداده، والمنهج المتبع فيه، وخطة البحث.
- الفصل الأول: تحدثنا فيه عن نشأة المدرسة البصرية.

  المنهج الذي اتبعته وأهم علمائها.
- الفصل الثاني: تحدثنا فيه عن نشأة المدرسة الكوفية.

  والمنهج الذي اتبعته وأهم علمائها.
- الفصل الثالث: أهم المسائل الخلافية وأشهرها:
- المسألة الزنبورية.

- كلا وكلتا بين اللفظية والمعنوية.
- نعم وبئس أفعلان أم اسمان.
- القول في "ربَّ" اسم أو حرف.

مدخل

الخلاف النحوي وأسبابه:

بعد الرجوع للمعاجم العربية يمكننا تعريف الخلاف لغة من خلال قول ابن منظور:" ...وتخالف الأمران واختلفا، لم يتفقا. وكل ما لم يتساو فقد تخالف واختلف"([1]).

أما في الاصطلاح: فقد عرفه الجرجاني بقوله:" هو منازعة تجري بين المتعارضين لتحقيق حق أو إبطال باطل"([2]).

ويقول عنه الراغب الأصفهاني:" الخلاف والاختلاف والمخالفة: أن يأخذ كل واحد طريقا غير طريق الأول في فعله أو حاله"([3]).

إن موضوع الخلاف النّحوي على عمومه موضوع واسع ومتعدد الاتجاهات، وذو مداخل كثيرة، إذ أنَّه لم يكن وليد المدرستين البصرية والكوفية فحسب، بل إنه أسبق لهذه الفترة بكثير وإن لم يكن معروفا بهذا الاسم بين المتنازعين، لأن النحاة لم يكونوا دقيقين في التسمية والمصطلحات. فكان غالبا يجري صور المناظرات والمناقشات، التي كانت تجري بين النحاة سواء من أبناء المدرستين أو المدرسة في مجالسهم ومنتدياتهم، فكل ما كان يجري يحمل معنىً خفيا للخلاف، ومن أمثلة ذلك ما دار بين الأخفش وأستاذه سيبويه، قال أبو العباس المبرد:" كان الأخفش أكبر سناً من سيبويه وكانا جميعا يطلبان، قال فجاءه الأخفش يناظره بعد أن برع، فقال له الأخفش: إنما ناظرتك لا تفيد لا لغيره، فقال له سيبويه: أتراني أشك في هذا"([4]).

ومن ذلك أيضا" أنّ عيسى ابن عمر جاء إلى أبي عمرو ابن العلاء وقال له: يا أبا عمرو ما شيء بلغني أنك تجيزه؟ قال: وما هو؟. قال: بلغني أنك تجيز: ليس الطيب إلاّ المسك- بالدفع- فقال له أبو عمرو: نمت يا أبا عمر وأربح الناس، ليس في الأرض حجازي إلا وهو ينصب، ولا في الأرض،

([1]): ابن منظور: لسان العرب، دار الحديث، القاهرة، للطباعة والنشر والتوزيع،896/1.

([2]): عبد القاهر الجرجاني: التعريفات، ت/د عبد المنعم الحفني، دار الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، ص113.

([3]): المناوي محمد عبد الرؤوف: التوقيف على مهمات التعاريف، ط1، ت/د، محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت/ لبنان، دار الفكر المعاصر/ دمشق، 1995م، ص 322.

([4]): السيرافي: أخبار النحويين البصريين، ت/د، محمد عبد المنعم خفاجي- دار الجيل، بيروت، القاهرة، تونس، ط1، 2004م، ص 94.

تميمي إلاّ وهو يرفع، ثم أرسل أبو عمرو تلميذين يسألان أعراب حجازيين و أعراب تميميين، فنطق الأعراب بما قال أبو عمرو، فلما سمع عيسى ما وصل إليه الرجلان من أقوال الأعراب أخرج خاتمه من يده. ثم قال لأبي عمرو: لك الخاتم، بهذا والله فقت الناس.([1]) فلم تكن نتيجة هذه المناظرة إلاّ إكبارا من عيسى أبي عمرو واحتراما له.

وهكذا كان الخلاف في البداية يجري في صورة تصوبيات لما يقع فيه النحوي، والمطلع على كتاب سيبويه يرى فيه جملة من مسائل الخلاف من أجل الوصول إلى الحقائق، سواء بينه وبين شيخيه " الخليل" و" يونس" أم بين الشيخين أنفسهما، وكان الأخفش كثيرا ما يخالف البصريين، وفي كتابه معاني القرآن نماذج من ذلك.

واتخذ الخلاف صورة أخرى حينما برز المذهب الكوفي وأصبح يقف في مواجهة المذهب البصري، وانطبع الخلاف بطابع العصبية وحب الغلبة، ومن أفضل ما يمثل ذلك ما دار بين الكسائي وسيبويه فيما يعرف بالمسألة الزنبورية"([2]).

وازداد الخلاف النحوي بين مدرستي البصرة والكوفة ما أدى إلى كثرة الآراء النحوية، ولا يكاد الدارس لهذا العلم أن يجد مسألة تخلو من الخلاف النحوي، والدليل على ذلك ما تعج به كتب النحو من خلافات، وقد صّرح بذلك عباس حسن عند حديثه عن مشكلة النحو:" في مقدمة هذه المشكلات تعدد الآراء النحوية في المسألة الواحدة، واختلاف الأحكام فيها حتى يستطيع الباحث أن يرى الرأي فيقول وهو آمن: إن هناك رأيا أخر يناقضه من غير أن يكلف نفسه مشقة الاطلاع والجري وراء هذا النقيض، ذلك أنَّه يعلم من طول ممارسته النحو والنظر في قواعده أن الواحدة منها لا تخلو من رأيين أو آراء متعارضة حتى في أوليّاته وما يجري مجرى البداءة العلمية"([3]).

([1]): أبو قاسم عبد الرحمان بن إسحاق الزجاجي: مجالس العلماء، ت: عبد السلام محمد هارون، مطبعة حكومة الكويت، ط2، 1984م، 1-4. وطبقات أبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي: النحويين واللغويين ، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم- دار المعارف- مصر- ط2، 2009م، ص 43، 44.

([2]): جلال الدين السيوطي: الأشباه والنظائر في النحو، دار الكتب العلمية، بيروت، د-ط، د-ت، 3/85-86.

([3]):محمد حسين صبره: ثمرة الخلاف بين البصريين والكوفيين، ، دار الهاني للطباعة– القاهرة، د- ط، 1993م، ص18.

وتعود أسباب الخلاف النحوي بين البصريين والكوفيين إلى أسباب عديدة ومن أهمّها:

أولا: الأسلوب والطريقة التي تتبعها المدرسة في السماع والقياس والتعليل فمثلا تحديد السماع والقياس عند البصريين بينما عكسه عند الكوفيين الذين توسعوا في السماع عن القبائل العربية وتوسعوا في القياس حتى على القليل الشأن، وقد توسع ذلك حتى شمل القراءات القرآنية، فالبصريون كان لهم موقف من بعض القراءات التي خالفت القاعدة النحوية عندهم، ثم شاع ذلك على بقية المدارس النحوية.

وربّما يعود ذلك إلى أنّ البصرة بحكم موقعها الجغرافي على الخليج العربي جعل عملية الاختلاط بغير العرب عملية سهلة نتيجة الملاحة البحرية، وهذا بدور جعل البصريين يتحرون الدقة في السماع اللغوي عن العرب بالإضافة إلى القياس على الكثرة المطرودة.

أما الكوفة فبحكم موقعها الجغرافي وهي في وسط العراق فكانت قليلة الاختلاط بغير العرب مما جعل الكوفيين يطمئنون إلى سلامة اللغة، ويضاف إلى ذلك أنّ انشغال الكوفيين بالفقه جعلهم يطبقون ذلك على النحو فدعاهم إلى التوسع في السماع والقياس.

ثانيا: التنافس العلمي واثبات الذات وهذا أمر غريزي في جبلة الناس كل يجب أن يجد لنفسه المكانة، والقدمة، سواء كان على مستوى المدرسة الواحدة أو على مستوى المدارس، وهذا أذكى شعلته بين المدرستين الخلفاء العباسيون الذين لعبوا دوراً هاماً في تفضيل النحاة بعضهم على بعض وتقريبهم منهم، بالإضافة إلى إجراء المناظرات بينهم ممَّا جعل الخلاف يدب بينهم، العباسيون كانوا يميلون إلى الكوفيين، ويحاولون الانتصار لهم في المناظرات التي كانت تُقام مع نحاة البصرة، وقد دونت المؤلفات الكثير من هذه المناظرات مثل ما دار بين الكسائي و سيبويه، وبين الكسائي والأصمعي، وبين المازني وابن السكيت، وبين المبرد والثعلب، ومن نحاة بغداد بين الزجاجي وابن كيسان. وقد أفرد السيوطي

لذلك بابا في كتابه " الأشباه والنظائر" سماه " فن المناظرات والمجالسات والمذاكرات"([1])، كما ألف الزجاجي كتاب أسماه" مجالس العلماء" تحدث فيه عن مجالس العلم والمناظرات بين النحاة.

ثالثا: إن من الأسباب أيضا العصبية الإقليمية فكل يريد القدمة لبلده ومن الجدير بالقول: أن الخلاف بين البصرة والكوفة يعود إلى الأحداث الأخيرة من زمن الخلافة الراشدة، حيث يعد مقتل عثمان رضي الله عنه، وتولي علي كرم الله وجهه الخلافة حدث ما حدث بين المسلمين نتيجة القلة المنافقة التي أشعلت نار الفتنة وكان نتيجة ذلك أن حدث الخلاف بين البصرة والكوفة، قد عرفت البصرة أنها عثمانية الولاء، ويدلل على ذلك أنَّ عائشة رضي الله عنها، والزبير وطلحة رضي الله عنهما حين خرجوا من مكة توجهوا إلى البصرة للمطالبة بدم عثمان، بينما توجه علي رضي الله عنه إلى الكوفة، وبعد ذلك كانت وقعة الجمل حيث تمت المواجهة بين على والكوفيين وعائشة والبصريين، فظاهر المواجهة بين البصرة والكوفة"([2]).

رابعا: الثقافة وطريقة التفكير، وتفصيل ذلك أن حركة الترجمة عن اليونانيين والفرس نشطت مبكرة عند البصريين، ويدلل على ذلك ما قام به ماسر جويه، وابن المقفع من ترجمات، ويضاف إلى ذلك أن فكرة الاعتزال التي ترتبط بالعقل والمنطق، وانعكاس ذلك على الدارسات، كان له دوره عند البصريين ويقابل ذلك الفكر الشيعي عند الكوفيين، والحقيقة أن هذه التراكمات ظلت ترافق جميع النشاطات الأخرى([3]).

أما نتائج الخلاف فتلخصت: بكثرة المؤلفات التي صنِّفت في مجال الدارسات النحوية، وكمال نضوجه، وظهور المدارس النحوية بهذه المسميات، إلا أنه حين قيل اختلاف الفقهاء رحمة، ترى الدارسة أن اختلاف النحاة نقمة على النحو العربي الذي أدى إلى تضخم المؤلفات بعلل، وتقديرات

([1]): جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي : الأشباه والنظائر في النحو، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، مج 2، ج3، ص 85.

([2]): الشريف قاسم: شعر البصرة في العصر الأموي دارسة في السياسة والاجتماع، دار الثقافة، بيروت- لبنان، 1972م، ص13-20.

([3]): أحمد كمال زكي: الحياة الأدبية في البصرة إلى نهاية القرن الثاني الهجري، دار المعارف، مصر، 1971م، ص 6.

وفلسفة عقلية كان النحو بغنىً عنها كل الغنىَ، فعلى سبيل المثال المؤلفات التي صنفت في اختلاف البصريين والكوفيين أكثر من أن تحصى ومن أهمها: اختلاف النحويين لـ ثعلب، والمسائل على مذهب النحويين مما اختلف فيه البصريون والكوفيون، والمقنع في اختلاف البصريين والكوفيين لابن النحاس، والرد على ثعلب في اختلاف النحويين لابن درستويه، والإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين لابن الأنباري، والتبيين في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين للعكبري، وغير ذلك.

الفصل الأول

المدرسة البصرية

المبحث الأول: نشأتها

المبحث الثاني: منهجها وأهم أعلامها

المبحث الأول: نشأتها

جاء في لسان العرب" البصرة حجارة رخوة إلى البياض، وبها سميت البصرة"([1])،كما ساق لنا ياقوت الحموي مجموعة من الآراء حول معنى البصرة في كتابه معجم البلدان فقال" إن البصرة في كلام العرب هي الأرض الغليضة، ونقل عن قطرب قوله: " الصرة هي الأرض الغليضة التي فيها حجارة تقلع وتقطع فيها حوافر الدواب...وإنما سميت بصرة لغلضها وشدتها"([2]).

كان العراق ملجأ للعجم قبل الفتح الإسلامي، وبعد الفتح أقبل عليها العجم والمسلمون لتوفرها على الحياة الناعمة ورغد العيش، وقد أدى هذا المزج بين العرب والعجم إلى جعل العراق أكثر البلدان إصابة بوباء اللحن، وهذا الأخير يُعد السبب المباشر الذي دفع المسلمين للتفكير في وضع النحو العربي حسب آراء الباحثين.

والبصرة مدينة من مدن العراق أنشأها المسلمون عقب فتحهم للجزء الجنوبي الشرقي في بلاد العراق، وقد تم ذلك في الروايات سنة(14هـ/635م) على يد عتبة بن غزوان، بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- فقد أرسله الخليفة عمر لكي يشغل أهل الأهواز وفارس وميسان حتى لا يمدوا إخوانهم الذين كان يحاربهم المسلمون بقيادة سعد بن أبي وقاص بعد أن مهَّد لذلك المثنى بن حارثة الشيباني بالإغارة على الحيرة([3]).

كانت نشأة النحو كما هو معروف نشأة بصرية، ومنها انطلقت بواكير الدارسات اللغوية كما هو معروف عموما، ما جعلها صاحبة أول مدرسة نحوية لها أصولها وقواعدها وإليها ينتمي رؤوس النحاة الأوائل. ولعل العامل السياسي الذي أذكى الخلاف بين المدرستين(البصرة والكوفة)، حيث كانت"

([1]): ابن منظور، لسان العرب، ت: عامر أحمد حيدر، م عبد المنعم خليل، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م، ج3، ص 62.

([2]): الحموي ياقوت ابن عبد الله الرومي الحموي : معجم البلدان، ت: عمر فاروق الطباع، مؤسسة المعارف، بيروت، 1999م، ج1، ص 636.

([3]): عبد الرحمن السيد : مدرسة البصرة النحوية: نشأتها وتطورها، دار المعارف، مصر ط 1، د.ت، ص 23، 24، وحاسم السعدي، الدراسات النحوية والغوية ومنهجها التعليمي في البصرة إلى القرن الثالث الهجري1973م، ص5-6.

البصرة عثمانية أموية، وكانت الكوفة علوية عباسية([1]) كان له دور في تقدم البصرة، إضافة لموقعها فهي قريبة من العرب الأقحاح الذين لم تتلون لغتهم بعامية الأمصار، ما جعل البصريون يأخذون عن العرب دون مشقة السفر حتى قال قائلها بعد عقود طويلة من عمرها" نحن" أكثر ساجا وعاجا وديباجا وخراجا"([2])، كما أن العامل الثقافي كان له دور بارز في إثراء علمائها والذي تمثل في سوق المربد، إذ كانت تعقد فيه مجالس العلم والمناظرات ووفود الشعراء والرواة إليه، حيث شابه سوق عكاظ في الجاهلية، فكان اللغويون يدونون ما يسمعون، ويأخذون عنهم ما صح من القواعد.

هناك روايات عديدة ذكرتها كتب التاريخ والأدب والنحو تدل على كثرة انتشار اللحن الذي كان هو المحرك الأساسي لنشأة النحو ووضع بذوره، للحفاظ على القرآن الكريم ومن هذه الروايات نذكر:

1/- " كتب لأبي موسى إلى عمر (من أبو موسى) فكتب إليه عمر: سلام عليك، أما بعد: فاضرب كاتبك سوطا واحدا، وأخر عطاءه سنة"([3]).

2/- وروي أن عمر رضي الله مرَّ على قوم يسيئون الرمي فقرعهم فقالوا: إنا قوم متعلمين(والصواب أن يقولوا: متعلمون) فاعرض مغضباً وقال: والله لخطؤكم في لسانكم أشدُّ عليَّ من خطئكم في رميكم، سمعت رسول الله- صلى الله عليه وسلم- يقول:" رحم الله امرءاً أصلح من لسانه"([4]).

وغير هذه الروايات كثير، إلا أن أشهر ما روي في تاريخ النحو ما أورده الأصفهاني في الأغاني، إذ دخل أبو الأسود الدؤلي في وقت الحر بالبصرة على ابنته، فقالت له: يا أبت ما أشدُّ الحر؟ فرفعت كلمة(أشد) فضنها تسأله أي زمان الحر أشد؟ فقال لها: شهر ناجر، فقالت له: يا أبت إنما أخبرتك

([1]): إبراهيم السامرائي: المدارس النحوية، دار الفكر للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الأردن، ط1، 1987م، ص 31.

([2]): عبد الرحمن السيد: مرجع سابق، ص 26-27.

([3]): عبد الواحد بن علي أبو الطيب اللغوي: مراتب النحويين، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، 2009، ص06.

([4]): جلال الدين السيوطي: في جامع الأحاديث برقم 12701 و 31443، والبيهقي في شعب الإيمان 257/2 برقم 1678، وكنز العمال 352/3و 550، 251/10.

ولم أسالك، والحقيقة أنه كان عليها أن تقول إذا أرادت إظهار التعجب من شدة الحر والإخبار عنه: ما أشد الحر!([1]).

ونتيجة لذلك أخذ الإمام علي يشعر بخطورة اللحن، و الخوف على القرآن الكريم ما ألزمه أن يحارب هذا الخطر للحفاظ على نصوص القرآن الكريم والأحاديث الشريفة، وكان يشاركه في هذا الشعور أبو الأسود الذي كان يحس باللحن. شأن العرب الفصحاء آنذاك. لذلك قام بتنقيط المصحف نقط إعراب بتكليف من الإمام إلا أن هذا التنقيط لم يؤدي وظيفته بصورة تامة لذلك اندفع الإمام علي- عليه السلام- وأبو الأسود إلى التفكير جديا في محاربة هذا اللحن بوضع النحو للقضاء عليه.

تسند معظم الروايات التاريخية إلى أبي الأسود الدؤلي إنه أول من تَنَبَّه إلى وضع النحو العربي وابعد خطر اللحن عن اللغة والقرآن جميعا. وكان أول من أشار إلى هذا ابن سلام الجمحي في مقدمة كتابه (طبقات فحول الشعراء):" وكان أول من أسس العربية وفتح بابها وأنهج سبيلها ووسع قياسها أبو الأسود الدؤلي...وضع بابي الفاعل والمفعول والمضاف وحروف الجر والرفع والنصب والجزم"([2]). وقال ابن قتيبة(276هـ):" وهو أول من وضع العربية"([3])، وهذا أقدم المترجمين لأبي الأسود وأقربهم زمنا إليه.

أوائل النحاة:

بعد أن تعرفنا من خلال ما سبق على أن أول من وضع النحو العربي هو أبو الأسود الدؤلي، فمن الطبيعي أن يكون له تلاميذ يعلمهم ما توصل إليه، ويقومون هم بدورهم بتدوين ما يقول واستنباطهم للكثير من الأحكام، من ثم نشره وإذاعته بين الناس.

([1]): أبو الفرج الأصفهاني : الأغاني، لجنة أشرف عليها محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر(ط.دار الكتب)، 1390هـ، 1394هـ،119/11. و أبو سعيد السيرافي، أخبار النحويين البصريين، ت: طه محمد الزيني ومحمد عبد المنعم خفاجي، ط1، القاهرة، 1374هـ، ص12.

([2]): محمد بن سلام الجمحي: طبقات فحول الشعراء، ت: محمود محمد شاكر، ط1، مطبعة المدني، القاهرة، 1974م، ج1، ص 12.

([3]): ابن قتيبة: المعارف، ت: ثروت عكاشة، مطبعة دار الكتب، القاهرة،1960م، (ط. الأزهر)، ص434.

ومن أشهر هؤلاء: نصر بن عاصم الليثي(ت 90هـ) أقام بالبصرة، اشتهر "بنقط نص"، وعبد الرحمن بن هرمز(ت 117هـ) في الإسكندرية. ويحي بن يعمر العدواني(ت 129هـ) قيل عنه أنه زاد أبوابا في النحو، ثم نظر فإذا في كلام العرب ما لا يدخل فيه، فاقصر عنه، وعنسبة بن معدان الفيل. و ميمون الأقرن، قال ياقوت إنه زاد على أبي الأسود في حدود العربية وكان أحد أئمة العربية الخمسة الذين يرجع إليهم في المشكلات. وعطاء بن أبي الأسود وهو الذي اتفق مع يحي بن يعمر على بسط النحو وتعيين أبوابه وبعج مقاييسه فلما استوفيا جزءا من أبواب النحو نسب بعض الرواة إليهما أول من وضع النحو. ومعاوية بن عمر ابن أبي عقرب أبو نوفل الدؤلي([1]).

كما نجد أيضا في بعض كتب التراجم نحاة آخرين أقل شهرة هم: علي الجمل الذي كان بالمدينة ووضع في النحو كتابا لم يكن شيئاً. وابن قسطنطين الذي وضع بمكة شيئا من النحو ثم قدم البصرة فسمع النحو وطرح ما كان عمل ووضع شيئا آخر لا يساوي شيئا، والحر النحوي الذي طلب إعراب القرآن، أربعين سنة. وسعد بن شداد المعروف بـ"سعد الرابية" للمكان الذي كان يدرس فيه النحو. وزهير الفرقي أخذ من تلاميذ أبي الأسود ت(150هـ) وأبو سفيان بن العلاء أخو أبي عمرو بن العلاء(ت 165هـ)([2]).

ومن النحاة الذين جاءوا بعد أبي الأسود وتلاميذه، عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي ويقال:" إن ابن أبي إسحاق كان أشد تجريدا للقياس"([3])، فهو النحوي الأول الذي لم يقبل منا العرب أن يخرقوا القواعد التي استقراها من كلامهم واعتبرها ثابتة ومُلزمة، وهذا ما جعله يعيب على الفرزدق قوله:

وعضّ زمان يا ابن مروان لم يدع من المال إلا مسحتا أو مجلفُ

([1]): معجم الأدباء، 210/7و 200وأخبار النحويين البصريين 14و أنباه الرواة 380/2و 172/2-173و 380/2-381و 179/4. فيها أخبار هؤلاء وتراجم خاصة بهم جمعيا.

([2]): مراتب النحويين 100و101، وبغية الوعاة، 493/1و 579 ونور القبس 367و إنباه الرواة.122/4 في أخبارهم على التوالي.

([3]): القاضي أبي سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي: أخبار النحويين البصريين، ت: طه محمد الزيني و محمد عبد المنعم خفاجي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط1، 1374هـ/1955م، ص 20.

فقال للفرزدق علام رفعت؟ فقال: على ما ينوءك، علينا أن نقول وعليكم أن تتأولوا([1]).فلم يرض ابن أبي إسحاق عن رفع كلمة" مجلفُ" لأنها معطوفة على ما قبلها ولا يجوز غير نصبها، واعترض على الشاعر نفسه قوله:

مستقبلين شمال الشَّأمِ تَضْرِبُنَا بحاصبٍ كنديف القطن منثورِ

على عمائمنا تلِقى وأَرْحلنا على زواحف تُزْجَى منْهاَ رِيرِ.

فألح عليه ابن أبي إسحاق، وعابه بخفض البيت الأول، ورفع الثاني فغيره الفرزدق، فقال :

على زواحف نُزجيها "محاسيرِ"([2]).

وكان ابن أبي إسحاق يرد على الفرزدق كثيرا، فقال فيه الفرزدق:

فلو كان عبد الله مولى هجوتُهُ ولكن عبد الله مولَى مواليِاَ.

وتقول بعض الروايات أن ابن أبي إسحاق لم ينكر على الفرزدق هجاءه أكثر ما أنكر عليه نصبه لكلمة مواليا، في آخر البيت والتي من المفروض أن تكون مجرورة([3]).

وكان عبد الله قيما بالعربية، أما ما في القراءة، فاعتبر في عهده اعلم أهل البصرة على حد تعبير أبو الطيِّب اللغوي، فقد أخذ عن يحي بن يعمر ونصر بن عاصم، وصحب ميمون الأقرع وروى عن أبي حرب بن أبي الأسود.

وتتابع على نحوه تلاميذه عيسى بن عمر الثقفي المتوفى سنة 149هـ، وعمروا بن العلاء (ت 154هـ)، ويونس بن حبيب ت 182هـ تلميذه الذين خطو خطوات واضحة في مجال تطور النحو وللخليل بن أحمد الفراهيدي دور كبير في النهوض بالنحو إذ شهد نموا واسعا على يده، فقد كان الغاية في استخراج مسائل النحو وتصحيح القياس فيه([4]).

([1]): الفراء: معاني القرآن، 186/2، ونشأة النحو 57.

([2]): محاسير: جمع محسور من حسرت البعير: إذا اتعبته، السيرافي، أخبار النحويين البصريين، المرجع السابق، ص21.

([3]): أبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي: طبقات النحويين واللغويين، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، القاهرة، ط2، ص32.

([4]): السيرافي: أخبار النحويين البصريين، مرجع سابق، ص30.

وجاء سيبويه فطلع على الناس بكتابه " الكتاب" الذي دون فيه الأفكار النحوية التي تلقاها ممن سبقوه من النحاة.

ثم جاء بعدهم جيل من أعلام النحاة ممن تتلمذوا عليهم فواصلوا السير على نهجهم، حيث تنتهي رياسة النحو البصري بالسيرافي، وتصل إلى غايتها في تأصيل القواعد ومد الفروع المتشابكة([1]).

***المبحث الثاني:* منهجها وأهم أعلامها**

1/- منهجها:

اتجهت البصرة وجهة خاصة في أساليب البحث النحوي وطرق الاستنباط ومبلغ الاعتداد بالشواهد وغير ذلك، حتى أصبح لها مذهب له طابع خاص، وقد وضع البصريون قواعد عامة لنحوهم والتزموا بها بشدة وما تميز به منهجهم الآتي:

1- اعتمادهم على السماع، حتى وجدنا علماء اللغة ورواتها وعلماء النحو عامة وعلى رأسهم: عيسى بن عمر وأبو عمرو بن العلاء والخليل يبذلون الجهود الجبارة في السماع عن العرب وتدوين ما يسمعون أو حفظه سواء أكان ذلك بالخروج إلى بوادي نجد وتهامة والحجاز، أم بالسماع ممن يفدون في المواسم الأدبية إلى المربد من الأعراب والشعراء والخطباء والفصحاء([2])، ولهذا نجد في كتاب سيبويه هذه العبارات التي تشعر بالحرص على أخذ اللغة من الثقافات كقوله: وسمعنا من يوثق به من العرب يقول، وقوله" وقد قال قوم من العرب ترضي عربيتهم، وكذلك قوله:" وسمعت من أثق به من العرب يقول "([3])، أي أن البصريين كانوا يبنون قواعدهم على الأغلب الشائع من كلام العرب ومن أجل ذلك كان نحوهم سليما أكثر اعتمادا عليه ووثوقا به من غيره حيث توافرت له من عوامل السلامة في النقل ما يجعله مؤهلا للتصدر.

([1]): شوقي ضيف: المدارس النحوية، دار المعارف، القاهرة، ط7، ص 150.

([2]): خديجة الحديثي: المدارس النحوية، دار الأمل، الأردن، 1422هـ/2001م، ص75.

([3]): مصطفى عبد العزيز السنجرجي : المذاهب النحوية في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة، الفيصلية، الرياض، ط 1، 1406هـ/1986م، ص17.

2- تحكيم المقاييس النحوية، إذ يقوم منهج القياس عند البصريين على الأغلب الشائع في لسان العرب ومن ثم استخلاص القواعد والأصول العامة التي تنطبق على جزئياته. وقد وضح هذا المنهج أبو البركات الأنباري في لُمَعُ الأدلة، حيث يقول:" النقل هو الكلام العربي الفصيح المنقول بالنقل الصحيح الخارج عن حد القلة إلى حد الكثرة"([1])، وقد اشترطو ا شروطا للغات التي يقاس عليها "ووضعوا للغات التي يصح القياس عليها أن تكون فصيحة مختارة لذلك عدو لغة قريش أفصحها أما من ناحية الشعر فاحتجوا بطبقة الشعراء الجَاهلين والمخضرمين ومتقدمي الإسلاميين: مثل جرير والفرزدق والأخطل وبابن هرقة وقف الاحتجاج بالشعر عند البصريين"([2]). وهذا المنهج في استنباط القواعد النحوية كان سليما. إذ على هذه الأقينة اعتمدوا وأكثروا منها وبنوا عليها قواعد لغتهم.

3- كان لهم موقف المدافع من القرآن الكريم وقراءاته. وقاموا على آياته الظواهر الواردة في كلام العرب وأجازوا القواعد التي وردت في لفظه أو في تواتر من قراءاته، مع العلم أنه لم يصدر منهم أي احتجاج أو طعن في قراءة أو تخطئة لأحد القراء، سواء أكانت قراءته شاذة أو غير شاذة حسب ما قسم ابن مجاهد لها، ولم يحد عن ذلك أحد منهم وكل ما فعلوه أمام بعض القراءات الخارجة أنهم كانوا يخرجونها إما بتفسير وتقدير يتطلبه المعنى و يوحى به وإما بعدها واردة على إحدى لغات العرب التي لم يبن البصريون عليها أقيستهم لضعفها أو لقلة المتكلمين بها([3]).

4- أما بالنسبة للحديث الشريف" فلم يرد في كتب النحاة الأوائل كوفيين كانوا أم بصريين أنهم عدوه من أصول الاحتجاج، ولا اعتمدوا عليه في استنباط قاعدة أو إثبات ظاهرة يؤخذ بها ويقاس عليها ما خالف منه الوارد في كتاب الله وكلام العرب الفصحاء"([4]).

([1]): أبو البركات بن محمد الأنباري : لُمَع الأدلة في أصول النحو، ت: سعيد الأفغاني، دار الفكر، ط 2، بيروت، 1391هـ/1971م، ص 81.

([2]): خديجة الحديثي: المدارس النحوية، مرجع سابق، ص 76.

([3]): خضر موسى محمد حمود: النحو والنحاة المدارس والخصائص، عالم الكتب، بيروت- لبنان، ط1، 1423هـ/2003م، ص 251.

([4]): خديجة الحديثي: المدارس النحوية، مرجع سابق، ص 77.

وقد فسر سبب إهمالهم للحديث الشريف بأنه تجوز روايته بالمعنى لذلك لم يُستشهد به لعدم إثبات نقله عن النبي صلى الله عليه وسلم. وهذا نظر غير سديد، "ذلك أنَّ رجال الحديث قد تحروا التدقيق والضبط، وتشددوا في ضبط الحديث، وأخضعوا هذه اللغة الشريفة إلى ما دعوه " الجرح والتعديل"، الذي تناولوا فيه رواة الحديث، فكان لهم فيه موازين دقيقة، ومن هنا لم يكن للنحاة أن يرفضوا هذه اللغة التي بولغ في نقدها وضبطها والوصول بها إلى الكمال في الصحة والصواب"([1]).

وبعد عرضنا لما بنى عليه البصريون نحوهم: يمكننا إيجاز موقفهم من الأصلين الذين سبق وذكرناهما، وهما السماع والقياس، حسب ما جاء في كتاب النحو والنحاة لخضر موسى محمد حمُّود " وقد عدَّ البصريون السماع عن الفصحاء المعتد بلغاتهم الأصل في الاحتجاج وإن وجد القياس. وإن اتفق القياس والسماع في ظاهرة ما واتفقا أخذوا بهما معا. وإن اختلفت تلك الظاهرة أخذوا السماع وفضلوه على القياس واستعملوا المسموع ولم يقيسوا، وإن لم يرد المسموع المخالف للقياس كان الأصل هو القياس([2]).

5-كثر على المذهب البصري تأويل نصوص اللغة وصيغها التي لا تتفق مع القواعد النحوية التي توصلوا إليها، لِتُوافق هذه النصوص المخالفة تلك القواعد، وكان التأويل الوسيلة الوحيدة لربط هذه النصوص المخالفة بما هو متوافق عليه عندهم، حيث " قاموا بتأويل ما ورد عن بعض العرب الفصحاء أو عن الشعراء المطبوعين الفصحاء ممن يحتج بأقوالهم، أو في قراءة قارئ غير متواترة مما خالف أقيستهم ولم يستطيعوا تخطئته أو نسبته إلى اللحن فقاموا باللجوء إلى التأويل والتفسير في المعنى، أو إلى تقدير محذوف يصح معه المعنى ويوافق ما وضعوه من أقيسة وفق شروط معينة ولم يقوموا بتغيير أقيستهم تبعا لما ورد من القليل أو النادر"([3])، وقد تعددت أساليب التأويل عند البصريين ومن

([1]): إبراهيم السامرائي: المدارس النحوية أسطورة وواقع، مرجع سابق، ص 26.

([2]): خضر موسى محمد حمُّود: النحو والنحاة، مرجع سابق، ص 251.

([3]): المرجع السابق: ص 77.

أهمها: الحذف والتقدير والشذوذ والضرورة، قال سيبويه:" وزعموا أنَّ ناسا يقولون: كيف أنت وزيداً؟، وما أنت وزيداً؟، وهو قليل في كلام العرب"([1]).

6- قاموا بتعليل بعض الظواهر النحوية والصوفية والصوتية تعليلا خطريا دون تعقيد أو مبالغة أو إعنات أو تداخل ولم تكن تعليلاتهم متأثرة بما ورد عن علماء الكلام والمناطقة من جدل. فتعليلات البصريين وجدت قبل نشر المترجمات وكتب علم الكلام والفقه والفلسفة وغيرها من العلوم التي دعمت بالحجج والبراهين المنطقية، وإنما أثرها برز في نحاة بغداد عند المبرد ومعاصريه ولاحقيه([2]).

وبين ابن جني صورة العلة ووزان بينها وبين علل الفقهاء والمتكلمين، فقال: "اعلم أنَّ علل النحويين...أقرب إلى علل المتكلمين منها إلى علل المتفقهين، وذلك أنهم إنّما يحيلون على الحس ويحتجون فيه بثقل الحال أو خفتها على النفس وليس كذلك حديث علل الفقه، وذلك أنَّها إنما هي أعلام وأمارات لوقوع الأحكام ووجوه الحكمة فيها خفية عنا غير بادية الصفحة لنا...وليس كذلك علل النحويين([3]). إذن إن العلة في النحو لها أثر كبير في توجيه المسائل، وتزخر كتب الخلاف النحوي بالكثير من العلل النحوية، ومما سبق يتبين لنا أن نحاة البصرة كانوا مولعين بالعلة عكس الكوفيين الذين كانوا أقل اهتماما بها. وبناءا على ما سبق يمكننا القول أن ما ذهب إليه البصريون في منهجهم جيد، فطريقتهم أكثر تنظيما ودقة وأقوى سلطانا على اللغة مقارنة بالمذاهب النحوية الأخرى.

2/- أهم أعلام المدرسة البصرية:

- **أبو الأسود الدؤلي**: " هو أبو الأسود ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل بن يعمر بن حُليس ابن نفاثة بن عدي بن الديل بن بكر عبد مناة بن كنافة. وكان علوي الرأي وكان رجل أهل البصرة. وهو أول من أسس العربية، ونهج سبلها، ووضع قياسها، وذلك حين إضطرب كلام العرب"([4]).

([1]): سيبويه: الكتاب، ت: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1408هـ -1988م، ج1، ص 303.

([2]): خضر موسى محمد محمود: النحو والنحاة، مرجع سابق، ص 251.

([3]): ابن جني: الخصائص، ت: محمد علي النجار، دار الهدى، بيروت- لبنان، ط2، 41/1.

([4]): أبي بكر الزبيدي: طبقات النحويين واللغويين، مرجع سابق، ص 21.

– **عبد الله ابن أبي إسحاق:** هو عبد الله بن أبي إسحاق مولى آل الحضرمي، وهم حلفاء بني عبد شمس بن عبد مناف، أخذ عن الأقرن. وهو أول من بعج النحو ومدَّ القياس وشرح العلل وكان مائلا إلى القياس في النحو([1])، ويؤكد ميله إلى القياس قوله ليونس بن حبيب، وقد سأله مرة عن مسألة لغوية: " عليك بباب من النحو يطرد ويقاس"([2])، أخذ عن يحى بن يعمر ونصر بن عاصم.

وأوضح الدكتور عبد العال أن قياسه لم يكن قياسا أرسطيا ولا أفلاطونيا، وإنما قياس فطرة وعقل، مثل ما قال عمر بن الخطاب لأبي موسى أن يعرف الأشياء وأن يقيس عليها([3])، ولقد جاء في الروايات بأنه أملى كتابا في الهمز، هذا الكتاب يعتبر أول تأليف مستقل في النحو.

–**الخليل:** هو الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري، عربي من أزد عمان، ولد سنة مائة للهجرة منشؤه ومرباه وحياته في البصرة، وقد أخذ يختلف منذ نعومة أظافره إلى حلقات المحدثين والفقهاء وعلماء اللغة والنحو، وأكبَّ على ما نقل من علوم الشعوب المستعربة، وخاصة العلوم الرياضية، وكان صديقا لابن المقفع مواطنه، فقرأ كل ما ترجمه وخاصة منطق أرسطو طاليس، كما قرأ ما ترجمه غيره من علم الإيقاع الموسيقي عند اليونان، وحذف هذا العلم حذفا جعله يؤلف فيه كتابا كان الأصل الذي اعتمد عليه إسحاق الموصلي في تأليف كتابه الذي صنَّفه في النغم واللحُون([4]).

قال الزبيدي:" وهو الذي بسط النحو ومدَّ أطنابه وسبب علله وفتق معانيه وأوضح الحجاج فيه، حتى بلغ أقصى حدوده وانتهى إلى أبعد غاياته، ثم لم يرضى أن يؤلف فيه حرفا أو يرسم منه رسما ترفعا بنفسه وترفعا بقدره إذ كان قد تقدم إلى القول عليه والتأليف فيه، فكره أن يكون لمن تقدمه تاليا، وعلى نظر من سبقه محتذبا، و اكتفى في ذلك بما أوحى إلى سيبويه من علمه، ولقنه من دقائق نظره

([1]): المرجع السابق: طبقات النحويين واللغويين، ص 31.

([2]): ابن سلام: طبقات فحول الشعراء، مرجع سابق، ص 15.

([3]): عبد العال سالم مكرم: الحلقة المفقودة في تأريخ النحو العربي، مصر 1977م، ص 109.

([4]): شوقي ضيف: المدارس النحوية، مرجع سابق، ص 30.

ونتائج فكره والطائف حكمته، فحمل سيبويه ذلك عنه وتقلده وألَّف فيه الكتاب الذي أعجز من تقدم قبله، كما امتنع على من تأخر بعده([1]).

ويروي عن" سفيان الثوري" أنه كان يقول: من أحب أن ينظر إلى رجل خلق من الذهب والمسك فلينظر إلى الخليل بن أحمد. ويروى عن" النضر" بن شميل أنَّه قال: كنا نمثل بين ابن عون والخليل ابن أحمد أيهُما تقدم، وكان النضر يقول: أكلت الدنيا بعلم الخليل بن أحمد وكتبه وهو في خص لا يشعر به. وما يحكى عنه من العلم والزهد أشهر من أن ينثر وأظهر من أن يذكر. وتوفي سنة ستين ومائة رحمة الله عليه ورضوانه([2]). وهو واضع علم العروض والقافية، وأول من دون معجما في اللغة(معجم العين)، وله مؤلفات أخرى منها كتاب" الشواهد".

اعتمد الخليل على السماع والقياس فكان المسموع عنده هو الأصل. فإذا تعارض السماع والقياس لجأ إلى السماع، واستخدام الخليل لوصف هذا المسموع معايير مثل: " مطرد" و" حسن"و"كثير" و"غالب" و" نادر" و" شاذ"، وهذا كثير في وصف الظاهرة أو البناء أو اللغة، ومن منهجه الاعتداد بالقراءات وقد رأينا بداية ذلك عند أبي عمرو بن العلاء، كما استخدم أيضا التعليل بأنواعه والتأويل والافتراض، وهذه الأخيرة ظاهرة عامة شائعة ولاسيما في مسائل التصريف عند الخليل"([3]).

–سيبويه: اسمه عمرو بن عثمان بن قنبر مولى بني الحارث بن كعب بن عمرو بن علة بن جلد بن مالك بن أدد، توفي سنة 183هـ. لقب بـ سيبويه نسبة إلى رائحة التفاح([4]). لم يكن لسيبويه تلاميذ كثيرون لأنه توفي مبكرا وهو ما زال شابا وكان من أبرز ممن تتلمذوا على يديه الأخفش الأوسط وقطرب"([5]).

([1]): محمد الطنطاوي: نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، دار المعارف، ط2، ص 07.

([2]): أبي البركات ابن الأنباري: نزهة الألباء، ت: إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الأردن، ص45.

([3]): خديجة الحديثي: مرجع سابق، ص 71-72.

([4]): السيرافي: أخبار النحويين البصريين، مرجع سابق، ص 37.

([5]): المرجع نفسه: السيرافي، أخبار النحويين البصريين ، ص38.

ولعل قلة هؤلاء التلاميذ ناجمة عما يذكرون عن سيبويه من أنه كانت في لسانه حُبسة. قال الفراء في شأن سيبويه:" فأتيته فإذا هو أعجم لا يُفصح. سمعته يقول لجارية له: هات ذيك الماء من ذاك الجرة. فخرجت من عنده فلم أعد إليه"([1]).

نشأ سيبويه في البصرة ورغب في تعلم الحديث والفقه إلى أن لحقه التأنيب بشأن حديث شريف من شيخه حماد البصري، في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم" ليس من أصحابي إلا لو شئت لأخذت عليه ليس أبا الدرداء". فقال سيبويه:" ليس أبو الدرداء، فصاح به حماد: لحنت يا سيبويه، إنما هذا استثناء فقال: سيبويه: سأطلب علما لا تحلتي فيه"([2]).

لم تذكر كتب التراجم أخبار تدل على خروجه إلى البوادي للسماع وتدوين اللغة كما فعل أستاذه، إلا أنَّ كثرة ما في كتابه من عبارات تدل على السماع للشعر والنثر، كما شارك في المناقشات التي كانت تجري في حلقات اللغويين، وهذا واضح أيضا في كتابه الذي خلفه لنا، و" اختلف الرواة في تاريخ وفاته، والأرجح أنه توفي سنة 180 للهجرة([3]).

الكتاب: اختص بهذا الاسم لأن سيبويه أعجلته المنية قبل أن يفكر في وضع اسم له، ولم يضع سيبويه لكتابه مقدمة لذلك نجد أول سطر منه يقول:" هذا باب علم ما الكلم من العربية"([4]).

ولعله من المفيد الإشارة إلى أن سيبويه ألف كتابه بعد وفاة أستاذه الخليل، لأنّه يعقب على ذكره لاسمه بقوله" رحمه الله". وكان سيبويه إذا وضع شيئا من كتاب عرضه على" الأخفش" وهو يرى أني أعلم به منه، وكان أعلم به مني، وأنا اليوم أعلم منه"([5])، وقد جمع سيبويه في كتابه ما تفرق من أقوال من تقدمه ومن لزمهم كالأخفش الأكبر والخليل وعيسى بن عمر. وأكثر من نقل عنه أستاذه الخليل الذي لزمه في حلقاته.

([1]): ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج1، ص 20.

([2]): أبي بكر الزبيدي: طبقات النحويين، مرجع سابق، ص66.

([3]): شوقي ضيف: المدارس النحوية، مرجع سابق، ص59.

([4]): سيبويه: الكتاب، 12/1.

([5]): أبو الطيب: مراتب النحويين، مرجع سابق، ص69.

والكتاب مجهود علمي يدل على دقة سيبويه في الإلمام بالقواعد النحوية، فهو صورة لجهوده وجهود من سبقه من العلماء إلاّ أن شخصيته فيه واضحة قوية، وقد ظهرت هذه الشخصية في تناوله لمسائل الكتاب، وحسن تعليل القواعد وجودة الترجيح عند الاختلاف واستخراج الفروع من القياس الذي زخر به الكتاب وفي الحرص على الشواهد الوثيقة([1])، وبهذا كان سيبويه فضل كبير علينا فهو الذي لملم شتات النحو ونظمه ووضع له قواعد مضبوطة حتى وصل إلينا كاملا.

-المبرد: هو محمد بن يزيد بن عبد الأكبر بن عمير بن حسان بن سُليم بن سعد ابن عبد الله بن يزيد بن مالك بن الحارث بن عامر بن عبد الله بن بلال بن عوف ابن أسلم- وهو ثمالة- بن أحجن بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله ابن مالك بن نصر بن الأزْد بن الغوث([2])، وهو إمام نحاة البصرة لعصره.

أخذ أبو العباس النحو عن الجرمي والمازني وغيرهما، وكان على المازني يعوِّل، ويقال: إنه بدأ بقراءة كتاب سيبويه وختمه على المازني([3]).

أشتهر المبرد بكتابه " المقتضب" في النحو والصرف بعد كتاب سيبويه اتبع فيه المبرد منهج سار فيه على خطى سيبويه في بحثه في النحو و الصرف والأصوات اللغوية، كان أسلوبه في عرض المسائل النحوية أكثر أسبابا في الجدل وإطالة في التعليل والاستطراد وكانت معظم شواهده في المقتضب من آيات الكتاب العزيز وقراءاتها، أما في احتجاجه لمسائل النحو والعرض والصرف والأصوات اعتمد على ما ورد في كلام العرب الفصحاء ولم يحتج بالحديث النبوي الشريف مثلما فعل سابقوه([4]).

([1]): الطنطاوي:نشأة النحو، مرجع سابق، ص 8-84.

([2]): أبو بكر الزبيدي: طبقات النحويين، مرجع سابق، ص 101.

([3]): السيرافي: أخبار النحويين البصريين، مرجع سابق، ص 76.

([4]): خديجة الحديثي: المدارس النحوية، مرجع السابق، ص100-107.

الفصل الثاني

المدرسة الكوفية

المبحث الأول: نشأتها

المبحث الثاني: منهجها وأهم أعلامها

***المبحث الأول:* نشأتها**

الكوفة: قد اختلف في اسم " الكوفة" فيقل أنه لم يكن معروفا قبل التحرير العربي. قال بن سيدة:" الكوفة بلد سميت بذلك لأن سعد لما أراد أن يبني الكوفة ارتادها لهم، وقال لهم": تكوفوا في هذا المكان، أي اجتمعوا فيه، وقيل أنه كان معروف قبلها. قال الكسائي: كانت الكوفة تدعى "كوفان" وقال الأزهري "كوفان" اسم أرض وبها سمّيت الكوفة([1]).

مصر الكوفة سعد ابن أبي وقاص في السنة السابعة عشرة للهجرة([2]). وقد تضافر على اختيار موقعها عاملان: الأول" حربي"، وهو وقوعها على الجانب الغربي من الفرات على طريق الإمدادات العسكرية كي يسهل الاتصال بين مقر الخلافة الإسلامية من جهة والجيش من جهة أخرى، والعامل الثاني جغرافي وهو وقوعها على أطراف الصحراء العربية، وكون بيئتها شبيهة بيئة الحجاز واليمن التي صدروا عنها فلنا انتهت الفتوحات وهدأت الأحوال رغبوا في بناء المدينة. إلاّ أنّ عمر بن الخطاب لم يكن يريد لهم حياة الاستقرار كي لا ينسوا الجهاد، وهي المهمة التي نزلوا الكوفة من أجلها فكتب إليهم: العسكر أجدّ لحربكم، وأذكى لكم، وما أحب أن أخالفكم([3]). فبنوا مدينتهم بالقصب، ثم باللنب بعد أن شب حرق فيها، وبقيت على هذه الحال حتى جاء زياد والياً على العراق سنة خمسين للهجرة فبناها بالآجر وجاء بأساطين المسجد من الأحواز([4]).

كان المسجد ودار الإمارة أول ما يختطه المسلمون في أيّة مدينة يمصرونها وبعد أن اختطوها، وزع عليها العرب توزيعاً قبلياً، وجعلت خطط أهل اليمن في الجانب الشرقي وجعلت خطط نزار في الجانب الغربي([5])، وكانت هاتان المجموعتان تمثلان القبائل التي ينتمي إليها المحاربون، ثم وزعهم سعد

([1]): معجم البلدان: 490/4-491، واللسان(كوف).

([2]): فتوح البلدان: 275-276، ومعجم البلدان، 491/4.

([3]): الطبري: 05/1/ 2487، وينظر الكامل لابن الأثير، 411/2.

([4]): معجم البلدان: 491/4.

([5]): البلاذري: 288، وخطط الكوفة (ماسنيون)، 27و28و 17، والطبري 2489/05/1-249.

توزيعاً عسكريا على سبع مجموعات ليسهل عليه تنظيم القائلين وتوزيع أرزاقهم([1])، وأجرى زياد بعد سنة خمسين للهجرة تعديلا أساسيا على هذا التقسيم وجعله رباعيا([2])، ولم يجعله على أساس قبلي، وذلك لأنه تعمد مزج هذه القبائل لتنهوا بينهم علاقات من نوع جديد مبنية على الحياة المدنية، لا على العصبية القبلية، وبهذا الاختلاط أصبح أبناء القبلية الواحدة يتسمون باسم المدينة " أزد البصرة" أو" أزد الكوفة" " و"تميع البصرة" و"تميع الكوفة" بعد أن كان النسب إلى "الأزد" وتميع حسب، وأصبحت العصبية إلى المدينة لا إلى القبيلة، وأصبح العرب عربيين:" عرب البصرة" و" عرب الكوفة"، وأصبحت المفاخرات والمساجلات تقوم بين أبناء هاتين المدينتين: وأخذت القبائل العربية في كل مدينة تفخر بمدينتها وموقعها وطبيعتها وخيراتها، وبما قامت به من فتوحات وبمن نزل صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبما جدّ فيها من علوم وبمن اشتهر فيها من علماء، وتسربت هذه المفاخرات إلى شعر شعرائها وخطب خطبائها، وبدأت كل مدينة تحاول أن تحقق لنفسها شخصية مستقلة متميزة عن غيرها من الحواضر والمدن، وكانت البصرة والكوفة المدينتين اللتين تمثلان هذا التطور بوضوح وأصبح إذا قيل "العراق" فمعناها البصرة والكوفة، وأطلق عليهما اسم"العراقين"([3]).

قامت الكوفة بدور خطير في حركة الفتح الإسلامي، وأول قتال اشترك جند الكوفة فيه كان بعد تأسيسها بقليل في سنة سبع عشرة للهجرة، حيث شاركوا في تحرير حلب، وفي السنة نفسها تم لهم تحرير الجزيرة وإخضاعها، وكثرت فتوحاتهم في أرض فارس وما جاورها كـ"رامهرمز"و "السوس"و"تهاوخد"، وغيرها، وشاركت في قتال الخوارج الأزارقة في الأحواز بأمر معاوية"([4])، ولما بويع علي ابن أبي طالب رضي الله عنه، بالخلافة استقر في الكوفة واتخذها عاصمة له، وانقسم العراق في زمانه إلى معسكرين: البصرة التي شق أهلها عصا الطاعة عليه، والكوفة التي كانت أول من بايعه

([1]): الطبري: 249/05/1، وخطط الكوفة، 11.

([2]): خطط الكوفة: 10.

([3]): مختصر كتاب البلدان: 17و123- 172، والطبري، 22/06/1، وأنساب الأشراف للبلاذري، 251/5، 223/1،و 229و 253و 256.

([4]): الطبري : 2498/05/1- 2505و 2569و 2601و 2614و 2615و 2683و 2841و 9/112و 10و 865/212، وخطط الكوفة 4.

بالخلافة، ولهذا مدّ علي بالبصرة وخطب في أهلها وعنفهم وذمهم وولّى عليهم عبد الله بن عباس وسار إلى الكوفة حيث استقر فيها([1])، وظلت الكوفة منشأ الثروات على الأمويين حتى ولّى عبد الملك ابن مروان الحجاج بن يوسف الثقفي سنة خمس وسبعين للهجرة فضرب على يد كل معارض منهم وأخضع أهل واستطاع أن يعيد إليها سيرتها الأولى فيجعلها معسكرا للجيوش الإسلامية، ويشغل أهلها بالحروب([2])، ولما قامت الدولة العباسية أصبحت الكوفة حضرتها واستقرت بها الأحوال بعد أن بويع للسفاح فيها و اتخذها عاصمة فترة من الزمن، وفي سنة 134هـ تحول إلى الأنبار، وفيها توفي سنة 136هـ، وتولى المنصور الخلافة في "الأنبار" ثم بني" الهاشمية" واتخذها مقراً له حتى فكر ببناء مدينة "بغداد"، ووضع أساسها سنة 145هـ، ورفع بناؤها سنة 149هـ وأصبحت حاضرة الخلافة العباسية.

أنشئت الكوفة على حدود العراق الصحراوية، وصارت مركز للتبادل التجاري بين كبار أصحاب الإبل القادمين من البادية والمدن المختلفة، وأصبحت ملتقى القبائل العربية القادمة من الحجاز واليمن، ونزل في الكوفة عدد من البيوتات العربية وعدد من الصحابة الذين شهدوا بدراً، وكان في مقدمتهم عمار بن ياسر وعبد الله بن مسعود اللذان بعث بهما عمر رضي الله عنه فكان عمار أميراً وعبد الله مؤذناً ووزيراً، وقد كانت الكوفة محط أنظار العرب ووجهتهم، لهذا ولكونها مقراً لقيادة الجيوش الإسلامية في المنطقة الوسطى ومركز للحركات العسكرية في العراق منذ تأسيسها، وقاعدة للخلافة الراشدية في زمن علي بن أبي طالب أصبحت متجه أنظار الجميع وأطلق عليها اسم"كوفة الجند"([3]).

إنّ مدرسة الكوفة النحوية حديثة العهد بالنشوء إذا قيست بمدرسة البصرة النحوية. فقد سبقت البصرة الكوفة بهذه الدارسة التي كانت عملا من الأعمال القرآنية. ثم أخذت تستقل شيئا فشيئا،

([1]): المسعودي: مروج الذهب ، 12/2و 29و227/1، ومختصر فتوح البلدان 215و الطبري، 2922/06/1، 2942و 2851و 3074/06/1و 3085.

([2]): المسعودي: التنبيه والإشراق ، 24، و الطبري 2/ 2/ 1072.

([3]): خديجة الحديثي: المدارس النحوية، ص113.

فيرى الكثير من الباحثين أن مدرسة الكوفة تأخرت في النشأة عن المدرسة البصرية بنحو قرن من الزمن، فقد تميزت هذه الأخيرة بميزة السبق نشأة النحو لأن أبا الأسود الدؤلي قد نزل بالبصرة وتلمذت له جماعة من المتعلمين. يقول شوقي ضيف" تركت الكوفة للبصرة وضع نقط الإعراب في الذكر الحكيم ووضع فقط الإعجام"([1])، الأنظار النحوية والصرفية الأولى تبلورت عند ابن أبي إسحاق والتي أقام عليها قانوني القياس والتعليل، إذ كانت في شغل عن كل ذلك بالفقه ووضع أصوله ومقاييسه وفتاواه وبالقراءات وروايتها رواية دقيقة، مما جعلها تخطى بمذهب فقهي هو مذهب أبي حنيفة وبثلاثة من القراء السبعة الذين شاعت قراءاتهم في العالم العربي، وهم عاصم وحمزة والكسائي، وعُنيت بجانب ذلك عناية واسعة برواية الأشعار القديمة وصنعة دواوين الشعر، وإن كانت لم تُعنى بالتحري و التثبت فيما جمعت من أشعار، حتى يقول أبو الطيب اللغوي:" الشعر بالكوفة أكثر وأجمع منه بالبصرة ولكن أكثره مصنوع ومنسوب إلى منْ لم يقله، وذلك بّين في دواوينهم"([2]).

وترى خديجة الحديثي أن نشأة الدارسة النحوية في الكوفة غامضة لا نعلم عنها أكثر ممن روايات متفرقة لا تكون مادة لهذه المدرسة([3])، ويرى أحمد أمين أنّ الرؤاسي هو الذي أنشأ المدرسة الكوفية في النحو ووضع فيها كتاب يصل إلينا، وقالوا إن الخليل اطلع عليه وانتفع به، وبدأت منذ ذلك الحين مدرسة الكوفة تناظر مدرسة البصرة ولكن الخلاف ظل هادئا بين الرؤاسي في الكوفة والخليل في البصرة، ثم اشتدّ بين الكسائي في الكوفة وسيبويه في البصرة، وصار لكل مدرسة علم تّحاز إليه([4]).

يقول" مهدي المخزومي": لا نعلم أنّ كوفيا كان نحوياً بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة قبل الكسائي فلا معاذ الهراء ولا أبو جعفر الدؤاسي ممن نضعهم في طبقة المؤسسين لهذه المدرسة النحوية الناشئة، ولم نسمع أن أحداً من الكوفيين تخرج بها، واكتفى بما تلقاه عنهما، عرف بنحو خاص استمده منها،

([1]): شوقي ضيف: المدارس النحوية، ط7، دار المعارف، القاهرة، ص 153.

([2]): أبي الطيب اللغوي: مراتب النحويين، ص 84.

([3]): خديجة الحديثي: المدارس النحوية، ط3(1422هـ- 200م)، دار الأمل ، الأردن.

([4]): أحمد أمين: ضحى الإسلام، 294/2.

لا ينتمي إلى نحو البصرة والكسائي والقراء، وهما عماد المدرسة الكوفية، إنما عرف النحو الاصطلاحي بدراستها نحو البصرة، تخرجها بشيوخ بصريين([1])، وعادة تذكر كتب التراجم أولية للنحو الكوفي مجسدّة في "أبي جعفر الدؤاسي"ومعاذ الهرّاء، أما الدؤاسي فيقول مترجموه إنّه أخذ النحو عن عيسى بن عمر وأبي عمرو بن العلاء، وعاد إلى الكوفة فتلمذ عليه الكسائي، وألف لتلاميذه كتاب في النحو سمّاه" الَفيصَلْ"([2])، فيقول ابن الأنباري:"إن أول من وضع من الكوفيين كتاب في النحو الدؤاسي"، ويقول أيضا:" إنّما النحو الكوفي بدءاً حقيقي، بالكسائي وتلميذه الفرّاء، فهما اللذان رسما صورة هذا النحو ووضعا أسسه وأصوله، وأعّداه بحذقها، فطنتها، لتكون له خواصه التي يستقل بها عن النحو البصري، مرتبين لمقدماته، ومدققين في قواعده، ومتخذين له الأسباب التي تدفع بنياته"([3]).

ويضيف السيوطي:" وهو أستاذ الكسائي والفراء وكان رجلا صالحاً". ويحكى عن الدؤاسي أنّه قال:" أرسل إليّ الخليل بن أحمد يطلب كتابي فبعثته إليه فقراه ووضع كتابه"، ولقد صنفت له عدّة كتب منها: كتابّ معاني القرآن، وكتاب" الوقف والابتداء، الكبير والصغير، وكتاب التصغير وذكر الزبيدي كتاب" الجمع الإفراد".

إلاّ أنّ هناك من قال أن الدؤاسي مطروح العلم، ولم يدل في النحو بآراء ذات قيمة، ولم يذكر اسمه في كتب من جاء بعده، وفي هذا القول أبو حاتم:" كان بالكوفة نحوي يقال له أبو جعفر الدؤاسي، وهو مطروح العلم ليس بشيء"([4])، لو كان مطروح العلم كما قال، فكيف يطلب الخليل منه أن يبعث إليه بكتابه، وهذا دليل أنه له في النحو باعٌ طويل.

وبهذا يقف الدكتور شوقي ضيف موقف الرافض لرأي نشأة المدرسة الكوفية مع الهرّاء والدؤاسي استاذ الكسائي والفراء، إ ذ لم يتفردا برأي خاص، فهما امتداد لمن سبقهما من نحاة البصرة، ك سيبويه

([1]): مهدي المخزومي: مدرسة الكوفة، ط2(1377هـ-1958م)، مطبعة مصطفى البابي الجلب وأولاده بمصر.

([2]): شوقي ضيف: المدارس النحوية، ط7، دار المعارف، 1119، القاهرة، ص 153.

([3]): أبي البركات الأنباري: نزهة الألباء، ت: إبراهيم السمراني، مكتبة المنار، الأردن، ص52.

([4]): أبي الطيب اللغوي: مراتب النحويين، ص 24.

والخليل، وبذلك لا نحكم على أنهما صاحبا الفضل في نشأة المدرسة إلا أنّه لا يختلف مع الدارس من الدارسين على كونهما من طبقات الكوفيين الأولى.

وهناك فريق يرى أن البداية الفعلية للنحو الكوفي تنحصر بين الكسائي والفراء أي ارتسمت ملامح المذهب النحوي، ووضعت أسسه وأصوله التي ميزته عن المذهب البصري، يقول ابن الأنباري:" لو لم يكن لأهل بغداد والكوفة من علماء العربية إلاّ الكسائي، والفراء لكان لهم بها الافتخار على جميع الناس، وإذا انتهت العلوم إليها"([1])، فبضل الاتصالات المستمرة بين المدرستين، فمثلا الكسائي وهو وفي كان تلميذا ليونس بن حبيب البصري، ومن قبله الخليل، ظلّ التجاوب مستمراً، "فما عرف شيء في الكوفة إلا رأيت آثاره في البصرة"، فبهذا التداخل يصعب علينا تحديد تاريخ معين لنشأة الكوفة، غير أنّنا يمكننا أن نقول بأن التنافس كان سببا رئيسيا في استقلال كل مدرسة عن أخرى، فقد كانت الكوفة أكثر تحرجا من البصرة في الأخذ بثقافات الأجانب والاعتماد عليها، وذلك لأن الكوفة كانت موطن الكثير من الصحابة، والقراء، والفقهاء وأهل اللغة.

***المبحث الثاني:* منهجها وأهم أعلامها**

1/- منهجها:

تيقن أهل الكوفة أن الرفعة والمكانة العالية لا تؤتى من رواية الشعر، ونقل الأخبار فقط، إنّما بزيادة على ذلك بمعرفة طرق تأليف الكلام، ونظم الاستعمال، فأرادوا منافسة البصريين في صنعتهم بعد أن أخذوه منهم، لكن شق إتباعهم فيما قالوا فأرادوا صنع نحو يباين نحو البصريين لما بينها من خلاف حال بين اتفاقهما على أمر واحد. حتى وإن كانت أسباب هذا الخلاف خارجة عن مجال البحث اللغوي، كواقعة " الجمل" فقد أثرت هذه الحادثة على الدرس العربي القديم أيّما، التأثير،

([1]): أبي البركات الأنباري: نزهة الألباب، مكتبة المنار، الأردن، ص52.

فالكوفة معروفة بعلويتها والبصرة بعثمانيتها([1])، وازدادت الخلافات والضغائن بتعاقب الأيام، من ذلك قول الشعبي على لسان الأعشى همدان([2]):

تحن سقاتهم إليكم عنوة وجمعنا أمركم بعد فشل

فإذا فاخرتمونا فاذكروا ما فعلنا بكم يوم الظل

إلى أن تحولت الخلافة إلى دمشق عاصمة الدولة الأموية التي ناصرت البصرة، فاحتملت الكوفة قسوة الدولة، وصرامة رجالها إلى أن قامت على أنقاضها الدولة العباسية التي جدت لماضيها متنفسا بعد ما شاهدته من نظيرتها الأموية، فَعُزَّتُ الكوفة بعد ذُلٍّ وأقل نجم البصرة بعد تألّق وهذه الأسباب كانت بمثابة الحاجز أمام الوفاق بينهما، برغم من أن هذه العنصرية وآثارها السلبية، إلاّ أننا أكدنا أن النحو الكوفي ليس وليد الكوفة الأصلي إنما هو مأثور عن البصرة، فمن الحتمي أن نجد بعض آراء المذهب البصري متجسدة في المذهب الكوفي، إلا أنهم استطاعوا الاستقلال بمذهب خاص بهم له طوابعه، وخصائصه التي تميزه عن المذهب البصري أيّما تميز، ويمكن تلخيص هذه المميزات فيما يلي:

1/- التوسع في الرواية: لعلّ أهم ما يميز المدرسة الكوفية من المدرسة البصرية اتساعها في رواية الأشعار، وعبارات اللغة عن جميع العرب بدويهم و مصريهم. فقد اعتمد الكوفيون في مذهبهم على التحرّر من القيود التي وضعها البصريّون. فتوسعوا في النقل عن الإعراب، وإن كانوا ممن خالطوا العجم وتأثروا بطباع أهل الحضر، فلم يتثبتوا من صحة الرواية، وجوزوا الأخذ بالشاذ، حيث اعتمدوا إلى اهتمام بواقع الاستعمال اللغوي والموجه عناية خاصة إلى فروق اللغة، وتعبيرات أهل البادية في أشد الجاهلية ونحوها، وما يتطلبه أغوار ذلك من تتبع واستقراء عمليين، وذلك على حدّ قول بروكلمان([3]).

أمّا البصريون فقد تشددوا في الأخذ عن الأعراب إلاّ من آنسوا فيهم الفصاحة وسلمت ألسنتهم من شوائب التحضر وآفاته، فاختيروا أفصح القبائل، وأجودها في العربية، وهم سكان بوادي نجد و الحجاز وتهامة من "قيس" و"تميع" و"أسر" وهم الذين أكثر الأخذ عنهم، ثم" هذيل"، وبعض

([1]): إبراهيم السمرائي: المدارس النحوية، ط1، 1987م، دار الفكر، عمان، ص 31.

([2]): أبو فرج الأصفهاني: الأغاني، ج06، ص 55.

([3]): كارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، ج02، ص 196.

كنانة وبعض طيء فارتحلوا إليها يتلقون عن أعرابها فتحروا من الأخذ عن العربي في سلامة لغته و سليقته، وفي صدق الراوي، ويرفضون الشاهد المقطوع أو المرسل([1]). لكنه يقال أنّه:" وجد في كتاب سيبويه كان يقصد الخليل وغيره، أما يونس بن حبيب، قال: أنّه يقصد" أبو زيد"، فلم يسمّيه لأنّه حيّ"، ولكن لم ينكروا على سيبويه ذلك، فلو ردّوها لردّت خمسين مسألة في النحو"([2])، فكل هذه الشروط مكّنت البصرة من جمع مدونة عربية فصيحة.

ولكن هذا لا يعني الكوفيين لم يرتحلوا، فنجد أن" الكسائي" الذي خرج من عند الخليل وقد أنفذ خمس عشرة قنينة حبر في كتابه عن العرب سوى ما حفظ"([3])، ولكن قيل أنه لم يقم بالبدو إلاّ أربعين يوما([4])، وأيضا هناك ما قيل عن الكسائي" أنّه أخذ عن أعراب حطمة، فأفسد ما أخذه عن البصريين"([5])، وهم من الأعراب الذين لا يستشهد بلغتهم، فعاب عليه أبو محمد اليزيدي قائلا:([6])

كنا نقيس النحو فيما مضى على لسان العرب الأول

فجاء أقوام يقيمونه على لغى أشياخ قطربل

ولكننا في المقابل نجد أنّ شاهدا أخذ يرجع كفة الكوفيين في نسبة الأشعار إلى الأوراق المطمورة من عهد النعمان بن المنذر، وذلك فيما نقله ابن جني عن حمّاد الراوية الكوفي، فقال" أمر النعمان فنسخت له أشعار العرب في ...الطنوج([*]) ثم دفنها تحت قصره الأبيض فلمّا كان المختار بن أبي عبيد الثقفي. قيل له إنّ تحت القصر كنزاً، فاحتفره فأخرج تلك الأشعار، فمن ثمة أهل الكوفة أعلم بالشعر من أهل البصرة([7]).

([1]): السيوطي: المزهد، ط1325، مج1، المكتبة الأزهرية، ص 103.

([2]): السيوطي: الاقتراح، (1426هـ- 2006م)، دار المعرفة، ص 33.

([3]): السيوطي: بغية الوعاة، ج02، ص 274.

([4]): سعيد الأفغاني: في أصول النحو، د- ط، دار الفكر، د- ت، لبنان، ص199.

([5]): القفطي: أنباه الرواة، ج02، ص 274.

([6]): السيوطي: بغية الوعاة، ج02، ص 163.

([*]): الطنوج: الكراريس.

([7]): ابن جني: الخصائص، ج1، ص387.

2/– الاتساع في القياس: تشّدد البصريون في القياس، كما تشددوا في السماع فصحة القياس عند البصريين الكثرة، وإلاّ فعلى القليل، وفعله النادر، فيعتدون بالكثير والقليل يحفظ ولا يقاس عليه، لكنهم لم يحدّدوا ما معنى الكثرة أو القليل أو النادر بالضبط وقد ينكرونه إن اعتبروه ضرورة، رغبة منهم في الوصول بالنحو إلى مرتبة العلم المضبوط، واستنتاج قواعد سليمة صحيحة لا يفسدها شذوذ، لكنهم أضاعوا الكثير من كلام العرب الفصيح بهذا التشدد.

أمّا الكوفيون فقد كان لهم موقف مغاير" فليس من الصواب إهدار شعر اعتبروه فصيحاً، وخاصة أنّ العرب ما زالت على سليقتهم، فَلِمَ يربطوا الفصاحة بالجغرافيا"([1])، وهذا ما فعله " الدكتور مهدي المخزومي" الذي يرى أن التفرقة بين القبائل خطأ منهجي وذلك بقولة:" ولا نرى هذا إلا لغو الكلام، أنهم يجهلون أن اللغة سليقة وطبيعة، ويجهلون أن صاحب اللغة لا يغلط في لغته، لأنها جزء من حياته، التي فطر عليها وعادة من عاداته التي نشأ عليها، وإذا كان الجاهليون يغلطون، والمخضرمون يغلطون، والإسلاميون يغلطون، فعلى من يعتمد النحاة؟ وبما يحتج؟، ومن أين جاءوا بهذه الأصول، وهذه القواعد التي استنبطوها"([2])، وأيضا إذا سلمنا أن الفصاحة موجودة عند القبائل المنعزلة:" لكانت لغة قريش أبعد اللغات عن الفصاحة(...) وهم أهل تجارة، فلِما التفريق بين قريش والقبائل المشابهة لها؟([3]).

وينبغي أن نعرف أن الكوفيين لم يقفوا بقياسهم عند ما سمعوه ممن فسدت سلائقهم من أعراب المدن أو شد على ألسنة بعض أعراب البدو، فقد استخدموا القياس أحيانا بدون استناد إلى أي سماع، ونضرب لذلك مثلا قياسهم العطف بلكن في الإيجاب على العطف في مثل" قام زيد بن عمرو" فقد طبقوا ذلك على لكن وأجازوا " قام زيد لكن عمرو" بدون أي سماع عن العرب يجيز لهم هذا القياس([4]).

([1]): تمام حسان: الأصول، ص 40.

([2]): أحمد مختار عمر: البحث اللغوي عند العرب، ص 53.

([3]): أحمد مختار عمر: المرجع نفسه، ص 53.

([4]): شوقي ضيف: المدارس النحوية، ط7، دار المعارف، القاهرة، ص 164.

ويزعم أيضا أن الكوفيين كانوا يبنون قياسهم دائما على السماع، فقد كانوا يجافونه أحيانا، ويضربون عنه صفحاً مهتدين بالمنطق العقلي الخالص، ومن يرجع إلى كتاب سيبويه يجده ما يمتلئ به من حجج منطقية رائعة لا يدلى بقياس ولا قاعدة نحوية عامة دون سماع من أفواه الفصحاء الخلّص، وما يخوضون فيه من الشعر والكلام([1]). وقد كان للاختلاط تأثير على نطق الكلام، وحتى في التراكيب النحوية،" أما قريش فقد قيل أنها تخير من الألفاظ أجودها، ومن العبارات أحسنها"([2])، أو لربّما هو وازع ديني لمكانة قريش عند العرب، ومن هذا اشتهر البصريون بأنهم أهل سماع، واشتهر الكوفيون أنهم أهل قياس، وفي هذا يقول الكسائي([3]):

إنّما النحو قياس ينبع وبه في كل أمر ينتفع

3/– مصطلحات الكوفية: خالف الكوفيون البصريين فاستعملوا عددا من المصطلحات التي تختلف عنهم، فقد كانوا يقصدون قصدا إلى أن تكون لهم في النحو مدرسة يستقلون بها أنهم على الرغم من تلمذة أئمتهم الأولين على أيدي البصريين وعكوفهم جميعا على كتاب سيبويه يتهاون منه ويعلون حاولوا جاهدين أن يميزوا نحوهم بمصطلحات تغاير مصطلحات البصريين والنفوذ إلى آراء خاصة بهم في بعض العوامل والمعمولات([4]).

يقول شوقي ضيف:" ونحن نعرض لهم مصطلحاتهم التي تداولوها على ألسنتهم وسجلت في تصانيفهم، وتصانيف من خلفوهم من النحاة() فمن ذلك اصطلاح "الخلاف" وهو عامل معنوي كانوا يجعلونه علة النصب في الظرف إذا وقع خبراً في مثل" محمد أمامك"، بينما كان البصريون يجعلون الظرف متعلقا بمحذوف خبر للمبتدأ السابق له، ومن ذلك اصطلح الصرف جعله القدماء علة لنصب المفعول معه، مثل" جاء محمد وطلاع الشمس" بينما ذهب جمهور البصريين إلى أنّه

([1]): المرجع السابق:المدارس النحوية، ص 165.
([2]):ابن فارس: الصاحبي، ص 55.
([3]): السيوطي: بغية الوعاة، ج02، ص 164.
([4]): شوقي ضيف:المدارس النحوية، ط7، دار المعارف، 1119، القاهرة، ص 165.

منصوب بالفعل الذي قبله بتوسط الواو([1])، كما جعله علّة نصب المضارع بعدّ واو المعية و" فاء السببية" و" أو" في مثل" لأستسهلن الصعب أو أدرك المنى" و" ما تأتينا فتحدث معك" و" لا تنه عن خلق وتأتي مثله" بينما ذهب جمهور البصريين إلى أن المضارع بعد هذه الحروف منصوب "بأن مضمرة" وجوباً([2])، ومن ذلك اصطلاح التقريب، وقد اختصوا به اسم الإشارة "هذا" في مثل "هذا زيدا قائما" وجعلوه من أخوات كان أي أنّه يليه اسم وخبر منصوب، بينما يعرب البصريون قائما حالاً و يجعلون ما قبلها مبتدأ وخبراً([3]).

وكذلك أيضا اصطلاح الفعل الدائم ويقصدون به اسم الفاعل، وهو يقابل عندهم الفعل الماضي والفعل المستقبل الشامل لفعلي المضارع والأمر في اصطلاح البصريين، وكأنما دفعهم إلى ذلك أنهم وجدوه يعمل عمل الفعل كما وجدوا الأخفش الأوسط يجيد عمله معرفا بالألف واللام، وغير معرف بدون أي شرط من الشروط التي اشترطها جمهور البصريين، وهي اعتماده على نفي أو استفهام أو أن يكون نعتا أو خبراً أو حالاً فقد تم من ذلك إلى أنه فعل وسموه فعلا دائما([4]).

ومن ذلك اصطلاح المكنى والكناية ويقصدون به الضمير، و المضمر عند البصريين، وكان الفراء أول من استعمله، يقول" الدكتور إبراهيم السامرائي" في هذا دور العرب إذا جاءت إلى اسم مكنى قد وصف" بهذا" و"هذان" و"هؤلاء"، ففرقوا بين" ها" و"إذا" وجعلوا مكنى بينها، فيقولون: أين أنت، فيقول: ها أنذا، ولا يقول: هذا أنا"([5]).

وكانوا يصطلحون على تسمية ضمير الشأن باسم المجهول في مثل" إنّه اليوم حار"، وتسمية ضمير الفصل باسم الهاء في مثل محمد هو الشاعر، وأيضا كان الكوفيون لا يطلقون كلمة المفعول إلا على المفعول به، أما بقية المفاعيل أي " المفعول فيه" و" المفعول المطلق" و" المفعول لأجله" و"

([1]): الفراء: معاني القرآن، 34، ونسب النحاة إلى الفراء أنه كان يقول بأن المفعول معه منصوب على الخلاف، انظر الرضى224/2.

([2]): هكذا في معاني القرآن 34/1، 235، في الرضى أن الفراء كان يقول هنا أيضا يا تنصب على الخلاف.

([3]): شوقي ضيف: المدارس النحوية، ط7، دار المعارف، 1119، ص 165.

([4]): مجالس ثعلب: (ص 456، ص 464)، والأشباه والنظائر (93.3).

([5]): إبراهيم السامرائي: المدارس النحوية، ط1، (1987)، دار الفكر، عمان، ص 107.

المفعول معه" كانوا يسمونها أشباه مفاعيل([1])، وسموا " الظرف" باسم " الصفة" و" المحل" وسموا البدل بالترجمة و"التمييز" "بالتفسير"، أما "لا النافية للجنس" في مثل:" لا رجل في الدار" فسموها باسم " لا التبرئة"، والصفة في مثل" محمد الشاعر أقدم" "باسم النعت" فقد أطلق سيبويه هذا المصطلح على "عطف البيان"([2])، فنجده قد استعمل" الصفة" والوصف كمرادفات له، واتبعه "المبرد" فاستعمل "النعت "و"الصفة " معا، وبالتالي نلخص بأن المصطلحات "الصفة"، "النعت" "عطف البيان " عند البصريين هي شيء واحد .

وفي هذا الصدد نجد أن شوقي ضيف: "يرى أن هذا اصطلح على تسمية النعت باسمه هو "الفراء" ([3]) ، إلا أن عوض أحمد الفوزي "يرى خلاف ذلك، حيث يذهب أن المصطلح إن شاع على أيدي الكوفيين، إلا أنهم متبعون لا مبتدعون"([4]).

والواضع أن هذه المصطلحات لم تسد في النحو العربي، لأن النظام الذي وضعه البصريون قد انتشر بين العلماء والناس في جميع الأمصار والعصور، فهذا النظام لم يهتم عفويا بل جاء لدقته المنطقية، وكأن عقول البصريون كانت أكثر خضوعا للمنطق فقد وضعوا كل قاعدة نحوية في موضعها بحيث لا تجوز قاعدة على قاعدة، فليست محاولة الكوفيين لتغيير بعض المصطلحات إلا مخالفة البصريين لذلك رفضها نحاة العصور التالية ماعدا اصطلاح النعت ([5]).

ولكن ما يجب علينا ذكره أنه قد يستعمل أحد النحاة مصطلح المدرسة الأخرى، وإن كان يخالفها، وهذا ما يدلّ على أن نحاتنا القدامى قد يأخذون عن بعضهم البعض إن آنسوا في غيرهم ما ليس عندهم من علم، وهي من أعظم سمات العلماء .

2/– أهم رواد المدرسة الكوفية : من النحويين الكوفيين الذين قام عليهم النحو الكوفي نذكر :

([1]): شوقي ضيف: المدارس النحوية، ط7، دار المعارف 1119، القاهرة، ص 166.

([2]): سيبويه:الكتاب، ج02، ص 11.

([3]): شوقي ضيف: المرجع نفسه، ص 202.

([4]): عوض أحمد القوزي: المصطلح النحوي، ص 166.

([5]): شوقي ضيف: المرجع السابق: ص 168.

الرؤاسي : أبو جعفر الرؤاسي([1]) الكوفي النحوي أستاذ بن حمزة الكسائي، عالم بنحو الكوفة، أخذ العربية عن أبي عمرو بن العلاء، وتقدم في النحو حتى قال الكسائي:"ما وجدت بالكوفة أحداً أعلم بالنحو من أبي جعفر الرؤاسي([2])، مولى محمد بن كعب القرظي، لقب بالرؤاسي لكبر رأسه، ويعد كتابه" الفيصل" أو كتاب مؤلف في النحو في الكوفة، توفي بالكوفة في عهد الرشيد([3]).

معاذ الهرّاء: هو أبو مسلم، لقب بالهراء لبيعه الثياب الهروية([4])، وهو عم الرؤاسي ومولى القرظي أيضا، أقام بالكوفة واشتغل مع ابن أخيه في النحو غير أنّ ولوعه بالأبنية غلب عليه حتى عدّه المؤرخون واضع الصرف([5])، وهو القائل([6]):

وما كان على الجيء ولا إلهئ امتد حكيما

توفي الهرّاء بالكوفة سنة 187هـ([7]).

أبو مسلم: هو أبو مسلم مؤدب عبد الملك بن مروان، وكان قد نظر في النحو، قلما أحدث الناس التصريف لم يحسنه وأنكره، فهجا أصحاب النحو فقال:

قد كان أخذهم في النحو يعجبني حتى تعاطوا كلام الزّنج والروم

لما سمعت كلاما لست أفهمه كأنه زجل الغربان واليسوم

تركت نحوهم والله يعصمني من التقمع في تلك الجرائم

فأجابه معاذ الهراء أستاذ الكسائي:

عالجتها أمرد حتى إذا نبتت ولم تحسن أبا جارها

سميّت من يعرفها جاهلا يصورها من بعد إيرادها

([1]): أبي البركات ابن الأنباري: نزهة الألباء، ، ت- د، إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الأردن، ص50.

([2]): حضر موسى محمد حمود:النحو والنحاة، ط1، عالم الكتب، لبنان، ص 85.

([3]): محمد الطنطاوي: نشأة النحو، تاريخ أشهر النحاة، ط2، دار المعارف، (ج.م.ع)، ص 115.

([4]): حضر موسى محمد حمود: النحو والنحاة، ص 86.

([5]): محمد الطنطاوي: نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، ص 115.

([6]): الزبيدي: طبقات النحويين واللغويين، ص 125.

([7]): محمد الطنطاوي: نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، ص 155.

سهّل منها كل مستصعب طور على القرن من أطوارها

وكان أبو مسلم جليس إلى معاذ بن مسلم الهرّاء النحوي، فسمعه يناظر رجلا في النحو فقال له معاذ، وكيف تقول من (تؤزهم أزّا): يا فاعل افعل، وصلها بيا فاعل افعل من (وإذا الموءودة سئلت)([1]) فسمع أبو مسلم كلاما لم يعرفوه، فقام عنهم وقال الأبيات قال وجواب المسألة:(يا آزّار)، وإن شئت:(إزّ)، وإن شئت (أزٌّ)، وإن شئت(أوزُر) فالفتح لأنّه أخف الحركات، والكسرة لأنّه أخف بالتقاء الساكنين. و الصنع للإتباع وكذلك: يا وائد إذْ، مثل: يا واعد عِدْ([2]).

الكسائي: هو أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي، مولى بني أسد، أحد الأئمة القرّاء، من أهل الكوفة، استوطن بغداد. كان الكسائي من أهل باخشا، ودخل الكوفة وهو غلام، وكان يعلم بها الرشيد ثم الأمين بعده، وكان قد قرأ على حمزة الزيات([3])، قال محمد بن الحسين السمرّي، رأيت الكسائي بالبصرة في مجلس يونس وهو يناظره مناظرة النظير.

وقال أبو إسماعيل بن قاسم البغدادي: سمعت محمد السّري يقول: مضى الكسائي مجلس يونس فقال: لم صارت(حتى) تنصب الأفعال المستقبلةٍ؟ فقال: هكذا خلقت! فضحك به وقال عبد الله بن أبي سعد: حدثني الأحمد قال: دخل أبو يوسف([4]) على الرشيد والكسائي عنده يمازحه فقال أبو يوسف: هذا الكوفي قد استفرعك وغلّب عليك، فقال يا أبا يوسف، إنّه ليأتيني بأشياء يشتمل عليها قلبي، فأقبل الكسائي على أبي يوسف قال: يا أبا يوسف: هل لك في مسألة؟ قال:"نحو" أو" فقه"؟ قال: بل فِقْه، فضحك الرشيد حتى فحص برجْله ثم قال: تلقي على أبي يوسف فقها قال: نعم، قال: يا أبا يوسف، ما تقول في رجل قال لامرأته: أنت إنْ دخلت الدار؟ قال: إنْ دخَلَتِ الدَارِ طَلَقَتْ، قال: أخطأت يا أبا يوسف، فضحك الرشيد ثم قال: كيف الصواب؟ قال: إذا قال:"أنْ"

([1]): سورة التكوير، الآية 08.

([2]): الزبيدي: طبقات النحويين واللغويين، ط2، دار المعارف، ص 126.

([3]): حضر موسى محمد محمود: النحو والنحاة، ط1، عالم الكتب، لبنان، ص 84.

([4]): الزبيدي: طبقات النحويين واللغويين، 127.

فقد وجب الفعل، وإذا قال"إنْ" فلم يجب، ولم يقع الطلاق، قال: فكان أبو يوسف بعدها لا يدع أن يأتي الكسائي([1]).

قال الكسائي: صليت بهارون الرشيد فأعجبتني قراءتي، فغلطت في آية ما أخطأ فيها صبيّ قط، أردت أن أقول" لعلّهم يرجعون" فقلت" لعلّهم يرجعين"، قال: فو الله ما اجترأ هارون أن يقول لي أخطأت، ولكنه لمّا سلمت قال لي: يا كسائي: أي لغة هذه؟ قلت: يا أمير المؤمنين. قد يعثر الجواد، فقال: أمّا هذا فنعم([2]).

قال الفرّاء:" سمعت الكسائي يقول: ربّما سبقني لساني باللحن فلا: يمكنني أن أرّده. أو كلاما نحو ذلك. وقال أيضا: قال لي قوم: ما اختلافك إلى الكسائي وأنت مثله في العلم؟ فأعجبتني نفسي فناظرته وزدت، فكأنني كنت طائراً أشرب من بحره([3]).

قال أبو بكر الأنباري:" اجتمعت للكسائي أمور لم تجتمع لغيره، فكان واحد الناس في القرآن يكثر الأخذ عنه، حتى لا يضبط الأخذ عليهم، فيجمعهم ويجلس على كرسي، ويتلو القرآن من أوّله إلى آخره وهم يسمعون، حتى كان بعضهم ينقط المصاحف على قراءته، وآخرون يتبعون مقاطعه ومبادئه فيرسمونها في ألواحهم وكتبهم، وكان من أعلم الناس بالنحو و واحدهم في الغريب([4]).

قال عبد الرحيم بن موسى قلت للكسائي: لم سميت الكسائي؟ قال: لأني أحرمت من كساء؟ وقال خلف ابن هشام: دخل الكسائي الكوفة فجاء إلى مسجد البيع، وكان حمزة بن حبيب يقرئ فيه فتقدم الكسائي على آذان الفجر فجلس وهو ملتف بكساء فلما وصل حمزة قال: من تقدم في الوقت؟ قيل له: الكسائي يعنون به صاحب الكساء فرمقه القوم بأبصارهم، فقالوا: إن كان حائكا فسيقرأ سورة يوسف وإن كان ملاحاً فسيقرأ سورة طه فسمعهم فابتدأ بسورة يوسف فلما بلغ إلى قصة الذئب قرأ" فأكله" الذيب، بغير همز فقال له حمزة: الذئب بالهمز، فقال له الكسائي ولذلك

([1]): المرجع السابق: طبقات النحويين واللغويين، ص 127.

([2]): حضر موسى محمد حمود: النحو والنحاة، ص 76.

([3]): حضر موسى محمد حمود، المرجع نفسه، ص 76.

([4]): حضر موسى محمد حمود: النحو والنحاة، ط1، عالم الكتب، لبنان، ص 76.

أهمز الحوت وقرأ "فالتقمه الحوت" فقال: لا. فقال: لم همزت الذئب ولم تهمز الحوت؟ وهذا فأكله الذئب وهذا فالتقمه الحوت؟ فرجع حمزة ببصره إلى حماد الأصول وكان أكمل أصحابه فتضح إليه في جماعة أهل مجلس فناظروه فلم يصنعوا شيئا وقال: أفدنا يرحمك الله- فقال لهم تفهموا عن الحائك، تقول: إذا نسبت الرجل إلى الذئب قد استذأب، ولو قلت قد استذاب بغير همز لكنت أنها نسبة إلى الذوب، فتقول قد استذاب الرجل إذا ذاب شحمه بغير همز وإذا نسبته إلى الحوت قلت قد استجاب الرجل أي كثر أكله للحوت إذا كان يأكل منه كثيرا فلا يجوز فيه الهمز فتلك العلّة، همز الذئب ولم يهمز الحوت، وفيه معنى آخر: لا تسقط الهمزة من مفرده ولا من جمعه([1]).

وقال أحمد بن أبي العاصم، حدثني محمد بن عبد الله بن آدم بن حبش البردي: حدثني ثابت الغذمي: أخبرني رجل في حلقة الأحمد النحوي عن تميع الداري: فلما صار إلى الذي احتل علة منكرة، فأتى إليه هارون الرشيد حاشيا متفرغاً، وخرج من عنده وهو مختضع، فقال لأصحابه: ما أظنُ الكسائي إلاّ ميتاً وجعل يسترجع، فجعل القدم يعزونه ويطيبون نفسه وجعل يظهر حزناً، فقال يا أمير المؤمنين، ما الذي قضيت عليه بهذا له؟ فقال: لأنه حدثني أنّه لقي أعرابيا عالماً غزيراً بموضع يقال له: ذو النخلتين، فقال الكسائي، فكنت أغدوا عليه وأروح، أمتاح ما عنده فعدوت عليه غدوة من الغدوات، وهو ثقيل، فرأيت به علّة منكرة، فألقى نفسه، وجعل ينتفض ويقول([2])

فدر أحلّك ذا النخيل وقد ترى لولاه مالك ذو النخيل بدارِ

إلاّ كداركم يذرا بقرِا الرحمى أبْهات ذو بقر من المزراد

قال الكسائي: فغدوت إليه صباحاً، فإذا هو لمآبه، ودخلت على الكسائي وهو ينشد البيتين فغمني ذلك. فمات الكسائي بالدّى كما ظنّ الرشيد.

وتوفي هو ومحمد بن الحسن الفقيه صاحب أبي يوسف، ودفنا في يوم واحد سنة تسع وثمانين ومائة 189هـ. فقال الرشيد: دفنا الفقه واللغة في الريُ، في يوم واحد([3]).

([1]): أبي البركات ابن الأنباري: نزهة الألباء، ، ت- إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الأردن، ص60.

([2]): الزبيدي: طبقات النحويين واللغويين، ط2، دار المعارف، ص 130.

([3]): شوقي ضيف: المدارس النحوية، ط7، دار المعارف، القاهرة، ص 175.

الفراء: وهو أبو زكريا يحي بن زياد مولى بني أسد، لقب بالفراء" لأنه كان يفري الكلام"، ولد بالكوفة144هـ من أصل فارسي، وتلقى عن الكسائي وغيره، وتبحر في علوم متنوعة، فكان فذاً في معرفة أيام العرب وأخبارها وأشعارها والطب والفلسفة والنجوم، وتقصى أطراف علم النحو حتى قيل فيه:" الفراء أمير المؤمنين في النحو"، وهو الذي قال" أموت وفي نفسي شيء من حتى لأنها ترفع وتنصب وتخفض" طمع في نوال الخلفاء فانحدر إلى بغداد، ولج في الاتصال بالمأمون حتى وصله ثمامة بن أشرس، فحاطه الخليفة برعايته، ورعب إليه أن يؤدي أبنية، كما اقترح عليه أن يؤلف كتاب يجمع أصول النحو، وهيأ له داراً خاصة فيها وسائل التعليم متكاملة، فأخرج له كتاب" الحدود" بعد سنتين([1]).

حمل الفرّاء العربية على الألفاظ والمعاني فبدع، واستحق التقدمة، وذلك كقولك" مات زيد" فلو عملت المعنى الوحيد أن تقول" مات زيداً" لأنّ الله هو الذي أماته، وكذلك عملت اللفظ، فأردت مكنت حركات زيد.

قال أبو العباس: وصف الفرّاء في بيت العَجاج:

حتى إذا أشرق في جوف جباً

فقال: في جوف جباً

قال: وسمعت أب العباس أحمد بن يحي غير مرة يقول: لولا الفرّاء ما كانت عربية لأنّه حّصنها وضبطها، ولولا الفرّاء لسقطت العربية([2]).

ويقول أبو العباس أيضا: كتب الفرّاء لا يوازي بها كتاب([3])، وتوفي سنة 207هـ([4]).

([1]): محمد الطنطاوي: نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، ط2، دار المعارف، (ج.م.ع)، ص 119.

([2]): الزبيدي: طبقات النحويين واللغويين، ط2، دار المعارف، ص 131.

([3]): شوقي ضيف: المدارس النحوية، ط7، دار المعارف، القاهرة، (ج.م.ع)، ص 194.

([4]): محمد الطنطاوي: نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، ص 119.

الفصل الثالث

أهم المسائل الخلافية وأشهرها بين البصريين والكوفيين

أولا: المسألة الزنبورية

ثانيا: كلا وكلتا بين اللفظية والمعنوية

ثالثا: نعم وبئس أفعلان أم اسمان

رابعا: القول في "ربَّ" اسم أو حرف

نماذج من المسائل الخلافية بين البصريين والكوفيين:

عندما يذكر الخلاف في النحو نخص في الغالب البصريين والكوفيين، ولقد كان هذا الخلاف الذي دار بينهما ظاهر في جل أبواب النحو ومسائله، ولم يكون ما جاء بعد هاتين المدرستين؛ إلا نتيجة لما خلفاه من مسائل وآراء في النحو العربي، من حيث القواعد والفروع.

والمطلع على كتب الخلاف بصفة خاصة، وكتب النحو بصفة عامة يجدها لا تخلو من الخلاف في جميع أبواب النحو العربي، سواء أكان هذا الخلاف البصريين والكوفيين، أو ما وقع بين أفراد المدرسة الواحدة منهما.

وقد ظهرت مصنفات عديدة اعتنت بمسائل الخلاف وما ورد فيهما من وجهات نظر متباينة لكل فريق وما استند إليه، أو تشير إلى بعض المسائل المهمة التي وقع فيها الخلاف، ومن أهم هذه المصنفات:

الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين لابن الأنباري، والتبيين في مذاهب النحويين البصريين والكوفيين لأبي البقاء العكبري، وهذان الكتابان من بين المصنفات التي اعتمدنا عليها في تبين مذهب كل من البصريين والكوفيين في بعض المسائل.

المسألة الأولى: المسألة الزنبورية

الأصل في هذه المسألة مناظرة وقعت بين سيبويه شيخ نحاة البصرة، والكسائي شيخ نحاة الكوفة، حيث أجاز الكسائي أن يقال:" كنت أَظُنُّ أَنَّ العقرب أَشَدُ لسعة من الزنبور فإذا هو إياها"، أما سيبويه فأوجب أن يقال:"فإذا هو هي".

أجاز الكوفيين النصب في النحو:" كنتُ أظنُّ أنَّ العقرب أشد لسعة من الزنبور فإذا هو إياها"، "وخرجتُ فإذا عبد الله القائمَ"، والنصب في "إياها"و"القائمَ"([1]).

وكما احتجوا بالسماع في هذه الرواية واحتجوا بالقياس، فقالوا:

أولا: إنما قلنا ذلك لأن "إذا" إذا كانت للمفاجأة، كانت ظرف مكان، والظرف يرفع ما بعده، وتعمل في الخبر عمل وجدت؛ لأنها بمعنى وجدت([2])، أي تنصب المفعول.

ثانيا: أن"هو" في قولهم" فإذا هو إياها" عماد، نصبت "إذا" لأنها بمعنى وجدت([3]).

ثالثا: أنه مفعول به والأصل: فإذا هو يساويها، ثم حذف الفعل فانفصل الضمير، ونظيره قراءة علي ابن أبي طالب رضي الله عنه: ﴿ لَئِن أَكَلَهُ الذِّئبُ ونَحنُ عصبةً﴾([4]).

رابعا: أنه منصوب على الحال من الضمير في الخبر المحذوف، والأصل: فإذا هو ثابت مثلها، ثم حذف المضاف وهو "مثل"، فانفصل الضمير وانتصب في اللفظ على الحال على سبيل النيابة كما قالوا:"قضيةٌ ولا أبا حسنٍ لهَا"([5]) على إضمار مثل، فحذف مثل وأقيم المضاف إليه مقامه فأعرب بإعراب المضاف المحذوف وهو النصب([6]).

وأما البصريون احتجوا بأن قالوا: إنما قلنا إنّه لا يجوز إلا الرفع؛ لأن"هو" مرفوع بالابتداء، ولا بد للمبتدأ من خبر، وليس ها هنا ما يصلح أن يكون خبرا عنه، إلا ما وقع الخلاف فيه، فوجب أن

([1]): الأنباري: الإنصاف، ص 563.

([2]): المرجع نفسه: ص 564.

([3]): المرجع نفسه: 564.

([4]): سورة يوسف: الآية 14.

([5]): المقتضب: 363/4 وأسرار العربية 227، وشرح الرضى 154/2و257.

([6]): ابن الحاجب: الأمالي النحوية، ت: هادي حسن حمودي، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، ط1، 1405-1985، 142/4.

يكون مرفوعا، ولا يجوز أن يكون منصوبا بوجه ما؛ فوجب أن يقال" فإذا هو هي" فهو راجع إلى الزُّنبورِ؛ لأنه مذكر، وهي: راجع إلى العقرب؛ لأنه مؤنث([1]).

الترجيح:

القول بالرفع، وهو مذهب سيبويه، الراجح في هذه المسألة ويؤيد رأيه كثرة الاستعمال واستفاضة السماع، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ فإذا هي بيضاء﴾([2])، وقوله تعالى:﴿ فإذا هي حية تسعى﴾([3]).

ويقول الأنباري:" أما ما رووه عن العرب من قولهم: فإذا هو إياها فمن الشاذ الذي لا يعبأ به، كالجزم بلن، والنصب بلم، وما أشبه ذلك من الشواذ التي تخرج عن القياس"([4]).

المسألة الثانية: كلا وكلتا بين اللفظية والمعنوية

ذهب الكوفيون إلى أن كلا وكلتا فيهما تثنية لفظية ومعنوية وأصل كلا(كُلٌّ) فخففت اللام، وزيدت الألف للتثنية، وزيدت التاء في(كلتا) للتأنيث، والألف فيهما كالألف في(الزيدان والعمران) ولزم حذف نون التثنية منهما للزومهما الإضافة. وذهب البصريون إلى أن فيها إفرادا لفظيا وتثنية معنوية([5]).

استدل الكوفيون على أن الألف فيها للتثنية أنها تنقلب إلى ياء في النصب والجر عند إضافتهما إلى المضمر، نحو: رأيت الرجلين كليهما، ومررت بالرجلين كليهما، ورأيت المرأتين كلتيهما، ومررت

([1]): الأنباري: الإنصاف، مرجع سابق، ص 564.
([2]): سورة الأعراف: آية 108، و الشعراء آية 33.
([3]): سورة طه: آية 20.
([4]): الأنباري: الإنصاف، مرجع سابق، ص 564.
([5]): المرجع نفسه: الأنباري، ص 355.

بالمرأتين كلتيهما، فانقلاب الألف فيهما إلى ياء دليل على تثنيتهما اللفظية والمعنوية ولو كانت ألف قصر لم تنقلب([1]).

أما البصريون استدلوا على أن لفظهما مفرد ومعناهما مثنى بأن الضمير يعود عليهما تارة مفردا مراعاة للفظ، وتارة مثنى حملا على المعنى، ومن الحمل على اللفظ قوله تعالى ﴿كلتا الجنتين آتت أكلها﴾([2])، فقال:" آتت بالإفراد، ولو كان مثنى لفظا ومعنى لقال"آتنا".

ومن الحمل على المعنى قول الشاعر([3]):

كلاهما حين جد الجري بينهما قد أقلعا وكلا أنفيهما رابي

فقال" أقلعا" حملا على المعنى، و"رابي" حملا على اللفظ، وكذا قولهم:كلاهما قائمان، وكلتاهما لقيتهما.

واستدلوا على أن فيهما إفرادا لفظيا، بإضافتهما إلى المثنى، ولو كانت التثنية فيهما لفظية لم يجز إضافتهما إلى المثنى، لأن الشيء لا يضاف إلى نفسه([4]).

وأما مع المضمر نحو: جاءني أخواك كلاهما، ورأيتهما كليهما، ومررت بهما كليهما، فإن الألف فيهما تنقلب ياء لأنهما يشبهان على وإلى ولدى، ولأنهما تابعان للمثنى، فجعل لفظها كلفظ ما تتبعانه استحسانا([5]).

([1]): اللباب للعكبري: 389/1، شرح ابن يعيش علي المفصل، 54/1.

([2]): سورة الكهف: آية 33.

([3]): الأنباري: الإنصاف، ص 358، وشرح ابن يعيش 54/1، والخصائص 382.

([4]): أبي البقاء العكبري: مسائل خلافية في النحو، ت: عبد الفتاح سليم، مكتبة الأردن، ط3، 1428هـ-2007م، ص 97.

([5]): سيبويه: الكتاب، مرجع سابق، 413/3، وشرح المفصل، ابن يعيش، إدارة الطباعة المنيرية، مصر، 54/1.

الترجيح:

الراجح ما ذهب إليه البصريون فاكلا وكلتا مفردان لفظا ومثنيان معنى والألف فيهما ليست للتثنية بدليل أن الألف فيهما عند إضافتهما إلى الاسم الظاهر لا تنقلب إلى ياء في حالتي النصب والجر، ولجواز إضافتهما إلى المثنى، ولأنه يخبر عنهما بالمفرد ويعود الضمير إليهما مفردا، ولو كان مثنيين في اللفظ والمعنى لما جاز الإخبار عنهما بالمفرد، ولا أن يعود إليهما الضمير مفردا. نحو قوله تعالى ﴿كلتا الجنتين آتت أُكُلها﴾([1])، فقال: آتت بالإفراد ولو كان مثنى لفظا ومعنى لقال آتتا.

مسألة الثالثة: مسألة الأصل في "نعم" و"بئس": أفعلان أم اسمان؟

قال" ابن خالويه" في هذه المسألة: والأصل في نعم وبئس: نَعِمَ وبَئِسَ. فلما كانا فعلين غير متصرفين وعين الفعل حرفمن حروف الحلق أتبعوا فاء الفعل عينه([2])، وقد ذهب البصريون إلى نِعْمَ وبِئْسَ فعلان ماضيان جامدان، يفيدان المدح والذم، يقول "سيبويه":" وأصل نِعْمَ وبِئْسَ: نِعمَ وبِئسَ، هما الأصلان اللذان وضعا في الرداءة والصلاح، ولا يكون منهما فعل لغير هذا المعنى"، ويقول أيضا: لأنهنَّ أفعالٌ، والأفعال على التذكير"([3]).

ويقول الأنباري:" وذهب البصريون إلى أنهما فعلان ماضيان لا يتصرفان"([4])، وقد استدل البصريون بأدلة جاءوا بها من الكثير من الكتب النحوية وخاصة كتاب الإنصاف ومن أهم تلك الأدلة مايلي:

أولا: اتصال الضمير المرفوع بهما، كما يتصل بالأفعال المتصرفة، نحو: نعما رجلين، ونعموا رجالاً، يقول الأنباري: وأمّا البصريون فاحتجوا بأن قالوا الدليل على أنهما فعلان: اتصال الضمير المرفوع بهما على حدّ اتصاله بالفعل المتصرف؛ فإنه قد جاء عن العرب أنهم قالوا: نِعْمَا رجلين، ونِعْموا رجالاً،

([1]): سورة الكهف: الآية 33.

([2]): ابن خالويه: إعراب القراءات السبع، ج1، ص 101.

([3]): سيبويه: الكتاب، ج2.

([4]): الأنباري: الإنصاف، ج1، م14، ص 97.

وحكى ذلك الكسائي، وقد رفعا مع ذلك المظهر في نحو: نعم الرجلُ وبِئْسَ الغلامُ والمضمر في نحو: نعم رجلاً زيدٌ، وبئس غلاماً عمرٌ، فدلَّ على أنهما فعلان"([1]).

ثانيا: اتصال تاء التأنيث الساكنة بهما، وذلك نحو: نعمت المرأة، وبئست الجارية، يقول ابن يعيش في هذا:" ومن ذلك أنّه تلحقها تاء التأنيث الساكنة وصلا ووقفاً، كما تلحق الأفعال، نحو: نعمت الجارية هند، وبئست الجارية جاريتك، كما تقول: قامت هند، وقعدت"([2]).

ثالثا: إنهما مبنيان على الفتح، كالأفعال الماضية المتصرفة، يقول ابن يعيش:" وأيضا فإن آخرهما مبنى على الفتح من غير عارض عرض لهما، كما تقول الأفعال الماضية كذلك([3]).

[لكن لتكون نعم وبئس فعلين فإنهما يجب عليهما أن يتوفر فيهما ما يتوفر في الأفعال، ولكنهما يفتقران إلى ذلك، فإنّهما يفتقران إلى عنصرين من عناصر الفعل وهما: الدلالة على الحدث والزمن]، يقول ابن أبي الربيع: فأمّا نعم وبئس فليس فيهما دلالة على زمان ولا حدث([4]).

[بالإضافة إلى أنهما لا يتصرفان إلى مضارع وأمر، والتصرف خاصية من أهم الخصائص التي تميز الأفعال]، يقول النحاس:" الفعل ما دلّ على المصدر، وحسن فيه الجزم والتصرف مثل: قام يقوم، وقعد يقعد، وما أشبه ذلك"([5]).

أما الكوفيون فقد قالوا بأنّ " نعم وبئس" اسمان، يقول ابن الأنباري:" ذهب الكوفيون إلى أنّ نعم وبئس اسمان مبتدأن"([6]).

([1]): المرجع نفسه: الأنباري، م14، ص 104.
([2]): ابن يعيش: شرح المفصل، ج7، ص 127.
([3]): المرجع نفسه: ابن يعيش، ص 127
([4]): ابن الربيع: البسيط، ج1، ص 580.
([5]): أبو جعفر النحاس: التفاحة، ص 14.
([6]): الأنباري: الإنصاف، ج1، م14، ص97.

وقد اشتمل الكوفيون في رأيهم بالأدلة التالية:

أولا: دخول حرف الجر عليهما نحو: ما زيد بنعم الرجل، يقول ابن الأنباري:" أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا الدليل على أنهما اسمان دخول حرف الخفض عليهما، فإنه قد جاء عن العرب أنها تقول:" ما زيدٌ بِنِعْمَ الرجلُ"، قال حسان بن ثابت:

أَلسْتُ بنعمَ الجارُ يُؤْلَفُ بيتُهُ أُخَا قلةٍ أو معدِمَ المال مصرِما([1]).

ثانيا: دخول حرف النداء نحو: يا نعم المولى، ونعم النصير، يقول ابن الأنباري: الدليل على أنهما اسمان أن العرب تقول" يا نعم المولى، ونعم النصير فنداؤهم نعم يدل على الاسمية. لأن النداء من خصائص الأسماء"([2]).

ثالثا: إنَّ العرب قالت:" نَعِيْمَ الرجلُ زيدٌ"، وليس في أمثلة الأفعال فعيل البتة، فدلّ هذا على أنهما اسمان([3]).

[لكن لتكون نعم وبئس اسمان يجب أن يتوفرا على الخصائص المميزة للاسم]، وهي الدلالة على المعنى في نفسها، لأن الاسم كما يقول النحاة، كلمة تدل على معنى في نفسها مفرد غير مقترن بزمان محصل يمكن أن يفهم بنفسه([4])، وأيضا إن التنوين والتعريف(ال) لا يدخلان عليهما، وهم علامتان من علامات الاسم.

ويقول العكبري في هذا:" وأما ما حكى أنهم قالوا: نَعْيِمَ فشاذ"([5])، أي أن استدلالهم بقول العرب: نَعْيِمَ الرجل زيدٌ" فشاذ".

([1]): حسان بن ثابت: ديوان حسان بن ثابت، ص 298.
([2]): ابن الأنباري: الإنصاف، ج1، م14، ص 98.
([3]): مرجع نفسه: ابن الأنباري، ص 104.
([4]): الصميري: شرح التبصرة والتذكرة، ج1، ص 74.
([5]): العبكري: اللباب، ج1.

وأما دخول حرف الجر عليهما فلا يدل على ذلك على اسميتها، لأن حكاية القول مقدرة فيما استدلوا به، والتقدير:" ما زيد بنعم الرجل" هو" ما زيد برجل مقول فيه نعم الرجل"([1]).

الترجيح:

يتبين لنا مما سبق أن (نعم وبئس) فعلان لا اسمان، كما بين ذلك ابن الأنباري مستدلاً بما ذكره البصريون، وقد رجع فعليتهم كل من: ابن يعيش، الرضى، والسيوطي...والله اعلم.

مسألة الرابعة: مسألة القول في "ربَّ" اسم أو حرف؟

ذهب البصريون إلى أنّ ربَّ حرف جر يفيد التقليل فهو مناقض لـ: كم في الخبر، يقول سيبويه:" وأعلم أن "كم" في الخبر لا تعمل إلاّ فيما تعمل فيه"ربَّ"؛ لأن المعنى الواحد؛ إلاّ أنّ "كم" اسم؛ و"ربَّ" بمنزلة مَنْ "([2]).

ويقول ابن سراج في هذا: وربَّ حرف جر([3]). كما يقول ابن الأنباري:" وذهب البصريون إلى أنه حرف جر"([4]).

وقد استدل البصريون في كلامهم هذا على مايلي:

أولا: أنه لا يجوز الإخبار عن "ربَّ"، فلا يقال:" ربَّ رجل أفضل منك"، كما يمكننا أن نقول: كم رجل أفضل منك ، يقول سيبويه:" ولا يجوز في ربَّ ذلك، لأن كم اسم وربَّ غير اسم، فلا يجوز أن تقول:" ربَّ رجل لك"([5]).

([1]): مرجع سابق: ابن الأنباري، ص112.
([2]): سيبويه: الكتاب، ج2، ص 161.
([3]): ابن سراج: الأصول، ج1، ص 416.
([4]): الأنباري: الإنصاف، ج2، م121، ص832.
([5]): سيبويه: مرجع سابق، ج2، ص 170.

ثانيا: إنّ حروف الجر لا تدخل عليها، فلو كانت اسما لجاز ذلك، بخلاف "كم" فإن ذلك جائز فيه، يقول ابن سراج:" ومما تبين أن ربَّ حرف، وليست باسم ك: كمْ، لأن "كم" يدخل عليها حرف الجر ولا يدخل"ربَّ"، تقول بكم رجل مررت([1]).

ثالثا: إنها توصل معنى الفعل إلى ما بعدها، كيفية حروف الجر الأخرى، يقول ابن يعيش في هذا:" ومن الدليل على كون ربَّ حرفا، أنها توصل معنى الفعل إلى ما بعدها إيصال غيرها من حروف الجر، فتقول: ربَّ عالم أدركت فهنا ربَّ أوصلت معنى الإدراك إلى الرجل، كما أوصلت الباء الزائدة معنى المرور إلى زيد في قولك: مررت بزيد([2])، فهنا عملت "ربَّ" مثلما عملت "الباء" الزائدة، أي إيصال معنى الفعل.

وقد جمع ابن الأنباري حجج البصريون في قوله:" الدليل أنها حرف لا يحسن فيها علامات الأسماء، ولا علامات الأفعال، وأنها قد جاءت لمعنى في غيرها كالحرف، وهذا تقليل ما دخلت عليه، نحو: ربَّ رجلٍ يفهم، أي ذلك قليل([3]).

أما الكوفيون فقد ذهبوا إلى أن "ربَّ" اسم، يقول ابن الأنباري:" ذهب الكوفيون إلى أن "ربَّ" اسم([4])، ويقول ابن يعيش:" وقد ذهب الكسائي ومن تبعه من الكوفية إلى أن ربَّ اسم([5]).

([1]): ابن سراج: المرجع السابق، ج1، ص 416.
([2]): ابن يعيش: شرح المفصل، ج8، ص27.
([3]): ابن الأنباري: الإنصاف، ج2، ص 833.
([4]): المرجع نفسه: ابن الأنباري، ص 832.
([5]): ابن يعيش: شرح المفصل، ج8، ص 27.

وقد استدل الكوفيون بهذا الرأي بالأدلة التالية:

أولا: إن ربَّ لا تقع إلا في صدر الكلام، وحروف الجر لا تقع في صدر الكلام، وإنما تقع متوسطة لتوصل معاني الأفعال إلى الأسماء، يقول ابن يعيش:" وقال إنها لا تكون إلا صدراً، وحروف الجر إنما تقع متوسطة لإيصال معاني الأفعال إلى الأسماء([1]).

ثانيا: يجوز الإخبار عنها في قول بعض العرب: ربَّ رجل ظريف([2]).

ثالثا: إنّ "ربَّ" لا تعمل إلا في النكرة وحروف الجر تعمل في النكرة والمعرفة على حد سواء، ويقول ابن الأنباري:" إنها لا تعمل إلا في النكرة وحروف الجر تعمل في النكرة والمعرفة"([3]).

رابعا: إن"ربَّ" لا تعمل الجر إلا في نكرة موصوفة وحروف الجر على اختلافها تعمل في النكرة الموصوفة والغير موصوفة، يقول الأنباري في هذا:" إنها لا تعمل إلا في نكرة موصوفة، وحروف الجر تعمل في نكرة موصوفة وغير موصوفة"، ولعل من الواقع أن النحاة بصريين وكوفيين قد اختلفوا في"ربَّ"؛ لأنهم وجدوها تخالف حروف الجر في تصدرها وفي دخولها على النكرة، واحتياجها لموصوف، لذا حكم الكوفيون بالاسمية ونحاة البصرة بالحرف.

([1]): المرجع نفسه: ابن يعيش، ص27.

([2]): ابن الأنباري: المرجع السابق، 832.

([3]): المرجع نفسه: ابن الأنباري، ص 833.

الخاتمة

بعد ما تقدم ذكره، نخلص إلى ما تضمنه هذا البحث من نتائج كالتالي:

- ✓ إن النحو العربي قد أرسيت دعائمه ووضعت قواعده على أيدي علماء البصرة والكوفة، حيث كانت أولى بدايته في البصرة والتي تعد أول مدرسة نحوية في تاريخ النحو والنحاة.
- ✓ علم النحو الذي نما وشاع حتى يومنا هذا هو النحو البصري، فجميع ما يتعلق بالمصطلحات والأصول النحوية وردت عنهم.
- ✓ كان للخليل ابن أحمد الفراهيدي فضلا كبير على النحو، فهو الذي بسطه واستنبط أصوله، واستخرج مسائله وعلله.
- ✓ نشأت مدرسة الكوفة في منتصف القرن الثاني للهجرة بعد البصرة، وضع الكسائي منهجا يختلف عن البصرة في التطبيق، وهو إمام الكوفيين ومؤسس الكوفة.
- ✓ اعتمد نحاة البصرة في السماع والقياس على الشواهد والروايات الموثوقة، وألسنة العرب التي تصلح للثقة فيها أن تكون قاعدة تتبع. شرط أن تكون ورادة في كتاب الله الكريم أو نطق بها العرب الخلص.
- ✓ أما السماع والقياس عند الكوفيين فقد قبلوا كل ما جاء عن العرب واعتدوا به وجعلوه أصلا من الأصول التي يرجعون إليها ويقيسون عليها.
- ✓ أول ما ظهر الخلاف الحقيقي بين البصريين والكوفيين على يد سيبويه والكسائي، أي منذ القرن الثاني هجري. على هيئة مناظرة بينهما في مسألة شهيرة عرفت بالمسألة الزنبورية.
- ✓ من أسباب الخلاف النحوي اختلاف النحاة في المسموع من العرب، واختلاف مقاييسه في تحديد القبائل الفصيحة والغير فصيحة، واختلافهم في المنهج الذي سلكوه مثل النزعة العقلية والمنطقية لدى بعض النحاة.
- ✓ للتعصب أثر بارز في توسيع الخلاف بين النحاة، إلى جانب أسباب أخرى أدت إلى الخلاف منها طريقة الاستنباط التي تتبعها المدرسة في السماع والقياس والتعليل، الموقع الجغرافي للبصرة،

حيث كانت قريبة إلى العرب الأقحاح، ما جعل البصريون أشد دقة في الأخذ على الشواهد النحوية من كلام العرب.

- ✓ كتاب الإنصاف في مسائل الخلاف لأبي البركات الأنباري من أهم كتب الخلاف النحوي، لأن المؤلف اعتمد على كتب النحاة المتقدمين ومن جاء بعدهم في توثيق المسائل، ففي مسألة "نعم" و"بئس" أفعلان هما أو اسمان كان مرجعه كتاب أمالي ابن الشجري، وأبو البركات الأنباري يعرض حجج الفريقين ولكنه يرجح مذهب البصريين في الغالب.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

1/- المراجع:

1- ابن خالويه المهذاني: إعراب القراءات السبع وعللها، ج 1، تحقيق عبد الرحمان بن سليمان العتيمين، دار مكتبة الخانجي، 1413هـ- 1992م.

2- إبراهيم السامرائي: المدارس النحوية، دار الفكر للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الأردن، ط 1، 1987م.

3- إبراهيم السامرائي: المدارس النحوية، ط1، 1987م، دار الفكر، عمان.

4- ابن الحاجب، الأمالي النحوية، ت: هادي حسن حمودي، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، ط1، 1405-1985م.

5- ابن الربيع القرشي الأشبلي السبتي: البسيط في شرح جمل الزجاجي، ج 1، تحقيق عياد بن عيد الثبيتي، دار الغرب الإسلامي، 1407هـ، 1986م.

6- ابن جني: الخصائص، ت: محمد علي النجار، دار الهدى، بيروت- لبنان، ط2، د.ت.

7- ابن سراج أبو بكر، الأصول في النحو، ج1، تحقيق عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة لبنان- بيروت، د.ط، د.ت.

8- ابن قتيبة، المعارف، ت: ثروت عكاشة، مطبعة دار الكتب، القاهرة، 1960م، (ط. الأزهر).

9- ابن يعيش: شرح المفصل ، إدارة الطباعة المنيرية، مصر، د.ط، د.ت.

10- أبو البركات ابن الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، تحقيق جودة مبروك محمد مبروك، ط1، 2002م.

11- أبو البركات ابن الأنباري، نزهة الألباء، ت: إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الأردن، د.ط، د.ت.

12- أبو البركات بن محمد الأنباري: لُمَع الأدلة في أصول النحو، ت: سعيد الأفغاني، دار الفكر، ط2، بيروت، 1391هـ/1971م.

13- أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، لجنة أشرف عليها محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر(ط.دار الكتب)، 1390هـ، 1394هـ.

14– أبو جعفر النحاس: كتاب إيناس الناس بتفاحة أبي جعفر النحاس، تحقيق حازم خنفر، 1433هـ- 2012م.

15– أبو سعيد السيرافي، أخبار النحويين البصريين، ت: طه محمد الزيني ومحمد عبد المنعم خفاجي، ط1، القاهرة، 1374هـ.

16– أبي البقاء العكبري، مسائل خلافية في النحو، ت: عبد الفتاح سليم، مكتبة الأردن، ط 3، 1428هـ-2007م.

17– أبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، القاهرة، ط2.

18– أحمد أمين: ضحى الإسلام، ج1، الهيئة العامة المصرية للكتاب، مصر، ط1، 1997م.

19– أحمد كمال زكي: الحياة الأدبية في البصرة إلى نهاية القرن الثاني الهجري، دار المعارف، مصر، 1971م.

20– جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي : الأشباه والنظائر في النحو، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، مج 2، ج3.

21– جلال السيوطي: بغية الوعاة، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، المكتبة العصرية، لبنان.

22– جلال السيوطي: في جامع الأحاديث ، تحقيق أحمد صفر ، 1414هـ-1994م، (غير مفهرس).

23– حاسم السعدي: الدراسات النحوية والغوية ومنهجها التعليمي في البصرة إلى القرن الثالث الهجري 1973م.

24– الحسن بن عبد الله السيرافي: أخبار النحويين البصريين، ت/د، محمد عبد المنعم خفاجي- دار الجيل، بيروت، القاهرة، تونس، ط1، 2004م.

25– خديجة الحديثي: المدارس النحوية، دار الأمل، الأردن، 1422هـ/2001م.

26– خضر موسى محمد حمود، النحو والنحاة المدارس والخصائص، عالم الكتب، بيروت- لبنان، ط1، 1423هـ/2003م.

27– الزبيدي: طبقات النحويين واللغويين ، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم– دار المعارف– مصر– ط2، 2009م.

28– الزجاجي: مجالس العلماء، ت: عبد السلام محمد هارون، مطبعة حكومة الكويت، ط 2، 1984م.

29– سيبويه: الكتاب، ت: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 3، 1408هـ – 1988م، ج1.

30– الشريف قاسم: شعر البصرة في العصر الأموي دارسة في السياسة والاجتماع، دار الثقافة، بيروت– لبنان، 1972م.

31– شوقي ضيف: المدارس النحوية، دار المعارف، القاهرة، ط7.

32– الصميري عبد الرحيم حسين العراقي: التبصرة والتنكرة، ج 1، تحقيق عبد اللطيف الهميم، دار الكتب العلمية، 1423هـ– 2012م.

33– عبد الرحمن السيد: مدرسة البصرة النحوية: نشأتها وتطورها، دار المعارف، مصر ط1، د.ت

34– عبد العال سالم مكرم: الحلقة المفقودة في تأريخ النحو العربي، مصر 1977م.

35– عبد القاهر الجرجاني: التعريفات، ت/د عبد المنعم الحفني، دار الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع.

36– عبد الواحد بن علي أبو الطيب اللغوي، مراتب النحويين، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، 2009م.

37– علي بن يوسف القفطي: أنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1406،1 هـ– 1986م .

38– كارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، تحقيق عبد الحليم النجار، دار المعارف، 1977م.

39– محمد الطنطاوي: نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، دار المعارف، ط2.

40– محمد بن سلام الجمحي : طبقات فحول الشعراء، ج 1، ت: محمود محمد شاكر، ط 1، مطبعة المدني، القاهرة، 1974م.

41– محمد حسين صبره: ثمرة الخلاف بين البصريين والكوفيين، دار الهاني للطباعة – القاهرة، د– ط، 1993م.

42– مصطفى عبد العزيز السنجرجي : المذاهب النحوية في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة، الفيصلية، الرياض، ط1، 1406هـ/1986م.

43– المناوي محمد عبد الرؤوف : التوقيف على مهمات التعاريف، ط 1، ت/د، محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت/ لبنان، دار الفكر المعاصر/ دمشق، 1995م.

44– مهدي المخزومي: مدرسة الكوفة، ط 2(1377هـ-1958م)، مطبعة مصطفى البابي الجلب وأولاده بمصر.

2/– المعاجم والموسوعات:

45– ابن منظور : لسان العرب، ج 3، ت: عامر أحمد حيدر، م عبد المنعم خليل، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م.

46– ياقوت الحموي: معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1993.م.

47– ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار الصادر، 1397هـ-1993م.

48– الحموي ياقوت ابن عبد الله الرومي الحموي : معجم البلدان، ت: عمر فاروق الطباع، ج 1 مؤسسة المعارف، بيروت، 1999م.

الفهرس

الشكر

الإهداء

مقدمـــــــــة..... /أ/

مدخل ..... /01/

<u>الفصل الأول:</u> المدرسة البصرية ..... /06/

المبحث الأول: نشأتها..... /06/

المبحث الثاني: منهجها وأهم أعلامها..... /11/

<u>الفصل الثاني:</u> المدرسة الكوفية ..... /19/

المبحث الأول: نشأتها..... /19/

المبحث الثاني: منهجها وأهم أعلامها..... /24/

<u>الفصل الثالث:</u> أهم المسائل الخلافية وأشهرها بين البصريين والكوفيين..... /36/

أولا: المسألة الزنبورية ..... /36/

ثانيا: كلا وكلتا بين اللفظية والمعنوية ..... /38/

ثالثا: نعم وبئس أفعلان أم اسمان ..... /40/

رابعا: القول في "ربَّ" اسم أو حرف ..... /43/

خاتمـــــة ..... /46/

قائمة المصادر والمراجع ..... /48/

فهرس المحتويات ..... /52/